أحلام منخفضة التكاليف

إهداء

إلى أمي رحمها الله

أول من أهدتني كتابا

إلى أبنائي
حنين و مالك و إياد

و إلى أحمد
لو حكينا يا حبيبي نبتدي منين الحكاية

نسرين نور

الإسكندرية – مدينة برج العرب
9 / 9 / 2010

ولاء

لطالما أحببت الأشياء التي تتم –فقط- في داخلى .. يريحني نسج الوقائع في خيالي، وأعيش قصة تشبه الحب -أشعر بالأمان وخيوط اللعبة كلها في يدي- أهرب من حزني بالأحلام...
طوال عمري لا أحيا واقعي أبدا، إنما أحيا في حلم أنسجه، أختار أحداثه، وشخوصه، أحيا بينهم كأنهم موجودون معي، أخاطبهم، وأختصمهم... أنتشي، وأحزن... أذهب معهم لأبعد مكان، وأنا لم أغادر حجرتي .
هو حالي من المراهقة، حتى الآن، وهذا ما أورثني داء تقلب المزاج؛ بسبب كثرة التداعيات... تداعيات كفيلة أن تكدر أصفى اللحظات، كما أهرب بها أحيانا من أعتى اللحظات قسوة وإيلاما وملالا.
ثم تمردت على كل شئ...
قررت أن أعيش الحياة بدلا من أن أحلم بها... تركت ورائي حفنة من الذكريات التافهة، و حزمت أمتعتي، و سافرت.

أسوان

المراكب الشراعية تملأ النهر... أراها من بعيد، كأنها نوارس ضخمة حطت؛ لتأكل أسماك النهر كلها -رغم أن النوارس لا تحط إلا على أسماك البحر في الأساس- أركب إحداها مع مجموعة من الأجانب والمصريين، يشير بعضهم -ويهمس- إلى قصر جميل على النيل مباشرة -إنه لمنير- يتوقع أحدهم أنه هناك؛ فيبدأ آخر بالصياح: منير... يا منير.
حالما انتهينا من جولتنا النيلية، ذهبت؛ لأتنزه في الأسواق قليلا، بيد أن الوحدة تعطيني إحساسا عاما بالكآبة -ألم يكن الخيال أرحم- فأتخيل أن من أحبهم معي؛ فيذهب إحساس الوحشة، والكآبة... ولو إلى حين.
ليست أمامي فرصة للتجوال، وشراء الهدايا غير الآن؛ فالأسواق هنا -ولطبيعة المناخ- تفتح قبل العاشرة صباحا، وبعد الخامسة عصرا -حيث تخلد البلد بأسرها للنوم في وقت القيلولة- ومن الظهر، حتى صلاة العصر، لا يخرج أحد من المنزل تقريبا.
أما الآن، فيخرج الجميع للجلوس أمام أعتاب البيوت، وعلى النيل، وفي نادي المحافظة، والأسواق، و الحدائق العامة، حتى منتصف الليل، حين تبدأ البلد بلملمة ناسها، و تخلد للهدوء وراء الأبواب من جديد، ليتكرر الشئ نفسه في الغد.
كيف لى أن أشرح لك؟
جالسة بالقرب من النيل، في أكثر البقاع حرارة وجمالا، بيد أن شمس أكتوبر تحنو على، بعد أن حولتها ساعة العصارى قرصا ذهبيا... آه... عيبه الوحيد أنه أمام عيني، فلا أستطيع أن أرفع عيني عن الورقة التي أكتب لك فيها، وأحتمي منه بيدي اليسرى، رافعة إياها لتصنع لي ظلا، وإن كان ضئيلا.
ياه... يا أسوان الجميلة...
ألا يزال الناس يتواصلون بالخطابات يا **ليلى**، وكأني أراك الآن، وأنت تضحكين... طبعا لا.
أكتوبر شهر مميز في أسوان... عاصمة قلبي... لا ليس قِبْلي أنا أعنيها...
قلبي...

ولاء حامد

_ ١ _

سوريا ١٩٩١

كان ضوء الحجرة خافت و مصدره أربع ثريات موزعون في أركان الغرفة الأربع و تصدر عنهن إنارة تشبه في شدتها ما يصدر عن الشموع .

بعرض الحائط الأيمن مشربية من الأرابيسك المنحوت يدويا تشغل نصف الحائط العلوي شبابيك صغيرة كلها مغلقة . صوت السكون ينافسه صوت طقطقة البخور على الجمر في مبخرة مدلاه كقنديل أم هاشم من السقف . خلف الباب مرآه مستطيلة ذات إطار و حامل خشبي منقوش بحروف عربي بخط كوفي بديع . منضدة خشبية صغيرة مستديرة منقوشة بقوش إسلامية على الحواف و في المنتصف . تعلوها صينية من النحاس الأصفر ملئ بأصناف من الفاكهة برقوق مشمش موز ألوان مختلفه من التفاح موجودة على مبعدة من باب الحجرة الذي ظل مفتوحا . هو ظل واقف في مكانه الذي تركته فيه منذ لحظات ينظر إلى ما حوله في وجل يحاول الإستئناث للمكان الذي لم يطأه من قبل . لا يدري ماذا أعجبها فيه هو دون الباقين كان شاب لم يكمل عامه الواحد و العشرون . ضئيل الجسم يحمل ملامح لا يعتقد من يراها أن صاحبها غادر الطفولة بعد . لم يكن يدري أن هذا بالضبط ما لفت نظرها إليه .

جاءت تتهادى في شال أخضر مثلث الشكل من الصوف مغزول يدويا بأشكال ورود متقابلة الشال كان كإطار أنيق للوحة زيتيه قيمة . إحتضنته من الخلف ، شعر بمطاط لدن يضغط صلابه ظهره . إستدار ليرى وجهها كان جميلا و موحيا تشرق أساريره و تلقى الإنارة تعبيرات مثيره تتفنن في ما تظهر و ما تبقى تحت الظلال .. عيناها أنفها وجنتيها شفتاها . ذقن دقيق به نتوء مغروز ، دائرة غارت فوسمت طابع صاحبتها بالحسن . رقبتها طويلة و دقيقة .. شامتان متجاورتان صغيرتان تزينان رقبتها و أعلى كتفها الأيمن ، توحيان باللعق المستمر . الشال تدلى طرفاه يغطيان جزء من صدر عامر و حلمتان متمردتان تخرجان في تحدي من فتحات بين وردة و أخرى .. وادي فسيح يتوسط هضبتان شامختان من المطاط اللدن .

ينظر إليها فينخطف بصره و يتيه بين قسماتها . تتحول رغبته إلى نداء مبحوحا و ضارعا

_ آه .. **لبنى** .. آه

سحبته من يده إلى ركن ، تعلمه السباحه في بحر مضطرم . قبلته .. قبلها .. قبلتها ذات طبيعه تختلف عن تجاربه السابقة كأنها ذكر يلتهم شفاه أنثاه المشتهاه بقوة و جرأة و ثقة . لم تكن لتتركه يقبلها إلا بعد أن تفعل هي أولا . يشعر بالانتهاك .. تجاربه الجنسية قبلا تنحصر في " الزنق " على أعتاب السلالم المظلمة و التقبيل و بعض الاحتكاكات المبتوره تخلف له ألما عضويا أكثر مما تمتعه .

تغيب اليوم عن العمل بإذن من محل الجزارة الذي يعمل به و لما كانت لبنى زوجه صاحب العمل فقد لقنته ما يقول للتأثير على زوجها حتى وافق .

استلقى أمامها على الأرض و بدأت في مداعبةعضوه بيدها و أثنت كثيرا على حجمه تمصه و تلعقه من أسفله إلى أعلاه لتمصه من جديد بإخلاص و إجتهاد

و لم يكن يدري أن بيضتين رابضتين هناك في بلاه أبديه لهما هذا الحظ في المداعبه من لحس

و مص و تقبيل بصوت مرتفع جعل قشعريرة من اللذه تمر في جسده و تربكه

_ آه .. لبنى .. آه

ينطق إسمها دون ألقاب منذ جمعتهما هذه الحجرة .. إستغرب ذلك كثيرا . . تكلف .. جمل منمقه .. رفعا فور تكشفهما .

هي من يدير العملية حتى قبل أن تبدأ منذ اختارته .. هي من خطط لتمكين اللقاء . العلاقة الجنسية كاشفه حقا .
عطر الرومبا _ الذي شكل جزء من ذاكرة حواسه فيما بعد _ كان يفوح من مسام جسدها كأنها تتعرقه ، حتى إنها حين إنقلبت فوقه لتغير وضعها صارت مؤخرتها و عضوها تماما فوق فمه يقترب منهما ، يشمها بعمق فيتهادى شذى الرومبا إلى أنفه .. إلى فجوات جسده .

يتألم من بعض الأوضاع لكنه ألم لذيذ سيربط لذته بالعنف في المتبقى من عمره . غيرت وضعها صارت فوقه وجها لوجه تقبله كما يقبل ذكر متمرس أنثاه . تؤلمه أسنانها .. تحرضه تستفز رجوله مولوده معه فيهب متعافيا يعض و يلعق و يسب .. أكثر ما تحب لبني السباب و البذائة .. تسمع في هوس سباب و لعان فترده تسب و تتلفظ ببذاءات نابيه تشتعل و تسكب زيتا لبنيا على نارهما . لما يعلوها تشم إبطه بنهم قطه . ترفع ذراعه و تدفس رأسها في ثناياه تشم تشم حتى إذا ما أفرغت ما فيه من روائح ذكريه عدلت وضعية رأسها لتلعق ما تبقى من رائحه ثم تتحول إلى شعر نابت على صدره تلعقه بإخلاص كلب مدرب ، كأنها بلعقها ستزيله من هناك لا تفهم جنس بدون عنف .. لا ترضى بغير تمزيق ألم بذائه ..

زوجها الذي يكبرها بسنوات عشر يمتلك جسم ضخم و عقلا أكثر ضخامه .. من يراه يظنه يكبرها كثيرا . تمارس الجنس معه بذات الكيفيه لا تتخلى عن السيطرة و العنف و إدارة العملية ليست أقل إخلاص في لعق أو مص .. تعرف لذته تتوهج أين ، ماجعل منه فيل يصر في منديلها . يعشق تراب سطرت بخطوها عليه يوما . لبنى تعشق التجديد .. ليس ببعيد أن وقع إختيارها على هذا الشاب اليافع كانوع من حب الاستطلاع . تجارب تمتد منذ طفولتها حين عبثت لأول مرة بإبن خالتها بمداعبات نهمه لعضوه جعلت شهوته تتقد حتى بال عليها ، مرورا بمراهقة تعددت فيها العلاقات و تنوعت بين ذكور و إيناث في إحتفاليه كبرى لشبق ولد لا محدود و لا يحمل أبعاد عنصريه تجعله يستثني أحد . ثم أخير ا الزواج .
كأنثى تعرف تمام ما تريد وافقت دون تفكير طويل .. كل ما تريد زوج يوفر لها حياة بها قدر من الأمان و ما تيسر من رفاهيه و الأهم أن تستطع التحكم فيه . طلته .. ملامحه .. سمته الذي يليق برجل عمل عمره كله و أهله في الجزارة و امتلكوا مزارعهم الخاصه ، بلؤم أنثى رأت أن من مثله يسهل التحكم فيه .

تلهب ظهره و مناطق متفرقه من جسده .. يبتسم في رضا مأخوذ بما تفعله زوجته المحبه الشهيه .. إن ما كان ينفقه في دور الهوى يندم عليه الأن .

لبنى أمرأة لا تؤمن بالخرافه و لا تصدق الأحلام لذا نسجت في واقعها حلمها و عاشته بكامل تفاصيله . لا ترى في نفسها إمراة لعوب خائنه .. بل حالمه .. تؤثر الأحلام المجسدة .. أحلام ثري دي .

_ أحبك .. آه .. أحبك .. آه .. **إيهاب**

_ عن جد ؟؟؟

_ أحبك ..

رغم علمه أن المكان آمن / وكر سري اتخذته لممارسة الأحلام . إلا أن مشهد زوجها بضخامته و شراسته يدخل عليهما فجأة رافس الباب بقدمه شاهر في الوجه ساطور يقطر دما يداهمه كل فتره .. يؤلمه .. يفسد عليه المتعه . يرى لبنى تتضرع عند قدمي الزوج و تلقى بالائمه على إيهاب الوغد اللعوب الذي أغواها .. يفكر الزوج قليلا ثم يحك رأسه ينظر إلى إيهاب يكاد يكون طفل ثم ينظر إليها .. ترى هل كان يحاول أن يصدق ما تقول لكن عينيه تكذبها ؟؟؟ و الأهم أن إيهاب في قرار نفسه يعلم نذالة لبني و جبنها ذلك العلم لم يمنع حبا تغلغل في خلاياه .. عاش لسنوات و لبنى تتحكم في وجدانه .

لما تمتطيه تطعنه طعنا يشبه الطعن الذكري ينظر في المرآه مأخوذ بحركة مؤخرتها تعلو و تهبط باطراد

_ آه ... لبنى .. آه

_ إيهاب .. حبيبي لا تتأوه بنعومه . أنت لست أنثى .. أنا أحب الأصوات الخشنه

_ كيف ؟؟؟ أريني كيف .. علميني

_ هكذا

تتشقلب في خفه لتغير وضعهما فيصبح هو فوقها كي تساعده على تقمص دوره كاذكر قادر على الطعن .. يتماها معا في قبلات طويله تتركه هذه المرة يقبلها و تتفرغ لإختبار خشونة أصواته الجديدة

_ آه .. نعم هذا أفضل

إمرأة حره .. تنضح حريتها على من يشاركها الفراش فيحلق بعيدا و يعود متخففا من وطأة أحمال .. تكلف .. أعباء أثقلت ظهره لأعوام كأنه ولد بها .. يتخفف منها جميعا هكذا دفعه واحدة .. بعد أن أفرغ و صرف توتر آلمه عمرا عاد الكره مرة مرتان مرات
أدرك حينها أن هناك إناث لا يتعبون ..

شيطان الشعر خرج عليها بعد أن هدأ هياجها فانفرجت الأسارير و صفى الذهن وراحت تنشد قائلة :-

أحطم نوافذ الكتمان

أترك جسدي نهبا للبوح

أسير بخفة فوق لذته تاركة روحي بجواره ليغفوا أقرب لنبع الدفء

العزيزة ولاء

حتى، وإن كف الناس عن التواصل بالخطابات، فأنا وأنت مختلفتين.
ستمكثين بأسوان باقى حياتك أم ماذا ؟
ضحكت فعلا منك، ومن خطابك كثيرا -رغم عدم رغبتي في الضحك-
أتضحكين؟ أم ماذا ؟
إيهاب بخير يسلم عليك، وكذلك الأولاد... سلامي لجميع من عندك. كنت أتمنى أن أحضر وأقضي معك أكتوبر الجميل في أسوان، لكن إيهاب لديه عمل في فيلمه الجديد -كما تعلمين- فنحن لا نراه تقريبا، وعدني أنه بمجرد أن ينتهي سنسافر إلى سوريا... أتمنى.
تحياتي، وقبلاتي ..

ليلى

.....

إيهاب

عمار يا إسكندرية ...

كل ما كان في الإسكندرية جميل ومختلف... كل ما فيها أحلى من كل ما فيها...

لا يمكن القول إنه مجتمع مغلق و لا يمكن القول إنه مجتمع منفتح عليك فقط أن تعرف كيف تدخل للعمق و سترى بوضوح أن كل شئ مباح بعيدا عن العلن... فترات الكبت، و الجهل أورثت الناس داء الكذب... الكذب هنا تتنفسه... تشمه في الهواء...

الإسكندرية -وبحكم موقعها- مدينة مال وتجارة... تمشي في شوارعها، وأسواقها؛ تجد انعكاسات المال في كل شيء... محال الذهب -وله سوق مخصوص هنا يُسمى شارع فرنسا، ولا أدري لِمَ بالتحديد فرنسا، وليست إنجلترا مثلا؟!- وليس الذهب فحسب... محلات الأقمشة والمفروشات... مطابع الورق يبيعون كل شيء، وأي شيء من المأكول إلى الملبوس إلى كماليات لا لزوم لها على الإطلاق... لطالما شاهدت غارات حملات "الإزالة"، وتعاطفت ، وهم يحملون بضائعهم، ويجرون بها، حريصين عليها أكثر من حياتهم نفسها... في الحقيقة... لم أكن أعلم ضرورة القيام بهذه الحملات البوليسية الغاشمة، فهي تعرف أنه بمجرد مرورها سيعود كل شيء كما كان... صحيح أن وجودهم يسبب اختناقًا مروريًا كبيرًا، لكن... ما البديل لهؤلاء غير ذلك ؟

الأسواق والمال والذهب والميناء والتجارة... أشياء موجودة في أكثر من مكان وزمان، لكن... لماذا هنا بالذات لها هذا التأثير في الناس، خاصة النساء؟ لأن حسهم مرهف؟

أما السكندريون عموما، فإحساسهم عالٍ بالناس والحياة... هذا الإحساس الذي جعل منهم فنانين متميزين.
و لأن تاريخنا المُدوَّن يكذب وينافق ويجبن؛ فهو يطمس بعض الأحداث عمدا، ويتناساها؛ لذلك لا أكاد أذكر الوحدة التي جمعت بين مصر وسوريا يوما تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة؛ فقد حدثت قبل أن أولد بعشر سنوات عام ١٩٥٨.

حتى كتب التاريخ المدرسية مرت عليها، وكأنها تتعمد إغفالها، في الوقت الذي أسهبت فيه، وسردت، وأفردت الصفحات، و مواطن الأسئلة لتاريخ الأقدمين من (الأشوريين، والفينيقين، والعرب الفاتحين)، أو المحدثين (حزب البعث، والعائلة الحاكمة)، وتجاهلت بعض الأحداث والأشخاص عمدًا، حتى أنها لم تذكر أسباب فشل الوحدة، فلم يبقَ من أثرها إلا نجمتان على العلم السوري، كرمز لمصر وسوريا.

إذن، لم أكن موهومًا بالقومية العربية؛ فالحقيقة المُرَّة أنه ما اجتمع عربيان، إلا وكان الشيطان ثالثهما!

إذن ماذا سأعوِّل عليه في غربتي؟؟؟ ومن يكون غيرهن: بنات الإسكندرية!

بنات بحري... نموذج مميز، ومختلف للمرأة... كن يهتممن إما بالمال، وإما بالجسد، وإما بهما معا. أدركن منذ البداية قيمة وجود ذكر مميز و مختلف بينهن . كن كنزي الثمين الذي اعتمدت عليه. ماذا علي أن أفعل؟؟ أبدأ بتنظيم تلك الفوضى النسائية من حولي. عليّ أيضا ألا أهتم بإحداهن أكثر من الأخريات؛ حتى أضمن بقاءهن جميعًا. المهم... عدم لفت الأنظار؛ حفاظا على مشاعر باقي الزملاء... كل ما أتمناه عدم اكتساب عداوات بدون داعي، والأهم من الزملاء: السادة الدكاترة؛ حتى لا أُضطهَد من دكتور متصابٍ؛ فالقاعدة الذهبية في مصر: ألا تناطح السلطة أبدا -أيًّا ما كانت- و الدكتور في مركزه سلطة، و اسألوا التاريخ... اسألوا بيرم "التونسي"، وأسمهان "اللبنانية"، ووردة "الجزائرية"، ويوسف درويش (؟؟؟؟)، رغم أنهم كانوا مصريين أكثر من معظم من قابلت هنا، لكن أى خلاف مع السلطة، يجعل الدفاتر تفتح، والتقليب في القديم ينشأ، وأول ما يُسأل عنه المرؤ حينئذ جنسيته، حتى، وإن كان مصريا خالصا، يذوب في عشق بلاده -مثل يوسف درويش- يعيروه بديانته، رغم أن اليهودية ديانة، وليست جنسية، ولكن لمَن تقول؟ فالورد دائما أحمر الخدين.

أي شبهة تعكير للصفو بينك وبين "اللهم احفظنا"، كفيلة بأن تعود بك -يا جميل- من حيث أتيت، غير مأسوف عليك. إذن، لا تناطح السلطة، وماذا أيضا؟ لا تقترب منها أبدا، أيًّا ما كانت الإغراءات؛ فشيئان لا تسألهما إن جئت تبحث عن الأمان: الدهر والسلطان.

بالرغم من علاقة الصداقة الغير مألوفة و لا يمكن أن تتوفر بين أساتذة و طلاب في أيها قسم آخر .. صداقة .. مودة .. ألفه .. بين جميع الطلاب و كل السادة المدرسين بدأ من احدث معيد إلى **رئيس القسم** نفسه .

حدث أن "حَكَّت" معي واحدة من حريم السلطان -و السلطان هو الحاكم بأمره، كبير الليلة هنا، و صراحة... حريمه لسن كثرا؛ فقد كان ينتمي إلى سلالة نادرة من الرجال، الذين يتغذون على عشيقة واحدة فقط، لا تتغير، تظل معه لسنوات، تفتح لها خلالها طاقة القدر، يمنح بسخاء... مناصب ووظائف -فنصف مُعيدات القسم حريم سابقات له- و لا يبخل برسائل الماجستير للمتعثرات منهن، فواجبه رعاية المواهب الشابة،و المحتاجة غناجة تتدلل، و يوجد دائما من تعتمد عليه في "تمقيق" عينيه؛ لأجل عيونها.

و الوسط المسرحي في الإسكندرية ولَّاد، و الجميلات كثر، و الشيطان شاطر... وردة هنا، و زنبقة هناك... ياسمين هنا، نرجسايه أو سوسناية هناك، تطري القلب بنسماتها، يشتمّ المرؤ رحيقها؛ فيحدث لحواسه ما يشبه "ريفرش"، و يستطيع إكمال يومه، و تحمل ما به من منغصات.

المهم... حدث، و تقاربنا –أنا، و هي- لمدة وجيزة، فالحق أقول: لم أكن أعلم أنها كانت تخص الكبير، و بعد أن لعن دين أمي مرتين متتاليتين -في أسبوع واحد، دون أسباب واضحة، و أمام الجميع- أسرت لي "أم ياسر"، رحمها الله -دادة القسم، و أحد أيقوناته منذ أن أنشئ، حتى موتها في أواخر التسعينات- أن من المحتمل، بل من المؤكد أن السبب أنه رأني مع **ولاء حامد** ، و هو يدخل لحجرته، و تكرر ذلك أكثر من مرة؛ كل صباح أجالسها عند "بنيكة" **أم ياسر** المتاخمة لمكتبه، بل، و الأدهى أنه طلبها للعمل معه في مسرحية، فاعتذرت متعللة أنها منشغلة هذه الأيام

بالبحث لك عن شقة مناسبة قريبه منها ... يا الله ... منذ متى، و هي تستخدمني كمشعل للحرائق في قلب مولانا ولي النعم؟ ذلك لأنها تغار من الأنثى التي يغدق عليها الدرجات، و يمنحها تقدير الامتياز، الذي لن يحصل عليه في قسم المسرح **داريو فو** نفسه -لو أراد أن يصبح طالبا في القسم- هذا التقدير العام، لم يحصل عليه إلا شخوص تارخيين: الأنثى المميزة، و ابن رئيس القسم، و ذوي الحظوة من الطلبة و هم قليلون جدا.

كان يعشمها، و يجعل رأسها يشتعل بأحلام ، منها شغل مكانه، و رئاسة القسم في يوم من الأيام، ثم -و بين سنة، و أخرى- ظهرت أنثى جديدة، فنقل العطاء ببساطة، فاستشاطت أختنا.

لا... لست أنا من يستخدم كسخان منزلي... و حفاظا على وجودي في القسم لمدة أربع سنوات فقط لا غير -حيث إنه من الممكن أن يحبني لدرجة تجعله يمانع منحي الليسانس في أربع فقط- و كذلك غيرة على دين أمي، و على أمي نفسها من اللعان و السباب، قطعت معها تماما، بل سعدت حين اختارني للعمل معه بالسخرة في مسرحيته، و كان ذلك دليل على الرضا، و القبول، و العفو الذي يميز طيبة قلبه.

لم تفهم ولاء موقفي و لم أشأ الشرح . كانت ولاء أنثى مميزة تحمل جينات مختلفه جعلت من تكوينها النفسي و الإنساني كيان يحب المرء الاقتراب منه و إكتشافه .. جميلة تبعا لمقياس جمال التسعينات .. قصيرة .. تميل بشرتها إلى السمرة لون يحملونه اسم القمح أجمل ما فيها عيناها السمراوين المعبرتين المكحلتين بعناية كأنها تحرص على وضعهما بين قوسين من السواد شفاها دقيقتان و محددتان بلون وردي مع أنف لم أرى أكثر إتساق منه مع وجه من قبل

ذكية و باسمة و مرحه .. أكثر ما يميزها إستدارة صدر نافر متمرد يعبر عن نفسه بحرية حيث كانت نادرة ما ترتدي حمالة الصدر . حجمه ليس يناسب أبدا رقة ملامحها و ضئالة جسمها .. كأن هناك من نحنته في تمثال آخر لكن حين أعجب بولاء أخذه ووضعه على جسدها الخمري .

ولاء تتعامل باستمرار بثمت و تألق نجمة تعتني بمظهرها بغير تكلف لا أذكر أني رئيتها مرة دون طلاء أظافر أو مجعدة الملابس أو مهملة المظهر و في عز البرد ترتدي ملابس خفيفة . لها الكثير من الأصدقاء داخل القسم الكل تقريبا يحبها لكنها فور أن تلتفت لتمشي حتى تبدأ دورة السخرية الفجة من تأنقها و أسلوب كلامها و ثقتها في مستقبلها الفني .. تردد باستمرار وبلا

لا تخجل من الحلم إنها فور إنتهاء دراستها ستسافر إلى القاهرة و ستصبح ممثلة معروفه . الجميع يعتبر أن التصريح هكذا بالأحلام بلا مواربة أو تخفي نوع من الهبل . نوع من الإعجاب بالذات لا يناسب رقة طموح أغلبهم . بمجرد أن تستدير لتمشي حتى يندمج الواقفون في دورة التريقة على ولاء . أنا الوحيد الذي لم يشارك في هذا .. كنت متأكد أن ولاء تعي ما تقول و إنها ستحققه يوما . إن إعجابها بروحها يعكس دعما كبيرا تتلقاه من أهلها يصدقون حلمها و يؤمنون بقدرتها على التحليق بعيدا بجناحين من فضة .. تستطيع كذلك حملهم معها . أتأمالها و اتأمل الواقفون يسخرون منها و من حلمها . جميعهم يشعر بعزلة داخل بيئته الأصلية أهاليهم لا يفهمونهم لا يصدقون أحلامهم / يسفهونها مما زاد عزلتهم . بعضهم آثر السلامة

و لم يخبر أهله أصلا حتى إنه من فرط خجله من حلمه و حرصه على الكتمان لا يعرف أهله ماهية القسم الذي يدرس فيه إبنهم . البعض و تحت ضغط الجماعة تخلى عن حلمه السري من سكات . إنصاع لما تعطيه الحياة البخيلة لم تنبت له أجنحة أو فقدت أختنقت من كثرة ما أخفاها و حرمها الهواء .. ضمرت و لم تكبر فلم تستطع حمله و أحلامه بعيدا عن الأرض . البعض إنحاز تماما للمجتمع في نفاق صادق . حرم الفن و كفر الفنانين و لعن أباهم . نال المكافأة إنتماء مشرف للمجتمع بلحية تضع وجهه بين قوسين مشرفين و تجارة ربح منها الكثير ربح مضمون و إمعانا في الإخلاص قطع علاقته بكل الماضي و علق شهادته في محل حماه في برواز زجاجي ممهور بآيات عن التوبة و العباد المسرفين و تحتها عبارة هذا الفقير إلى الله كان هكذا ثم أصبح هكذا و تحتها ورقة تشمل قصة توبته التي حاول الأخ الذي كتبها له أن تكن مؤثرة .

الأهالي لا تجيد التعامل مع هؤلاء .. يحمل أغلبهم موهبة حقا .. لا تفهمه لا تدعمه .. حتى إنها لا تتركه ينعم بحاله فقط دون أن تحطم أجنحه تحاول أن تنمو بمعاول دؤبه . ولاء لقيت دعما كبير و ملحوظ لها والدة تتمتع بعقلية عملية منظمة بشكل مؤسسي التكوين .. ترتب الأولويات بدرجة عالية من الصدق .. حين يعود ذهني لمن حولي .. يااااه إنتهوا من نتف ريش جناح ولاء و اتجهوا لنميمه محببه هذه الأيام عن آخر هدايا عز الدين شكري إلى رئيس القسم ...

لاحظت أنهم في مصر يستخدمون بعض الألفاظ التي لا تعبر تعبيرا دقيقا عن واقع الحال، فمثلا: "برَّاد الشاي"... برَّاد؟؟ لا يوضع فيه شئ بارد على الإطلاق! كذلك تسميتهم للخبز "عيش"... عيش؟؟ يمكن!... صحيح، فلا يكاد يخلو طعامهم منه -بمختلف أنواعه- فهو حقا عيش إذن، هو حياة بالنسبة إليهم.

كذلك مشكوك في ميول المصريين تجاه النظافة العامة أو الشخصية، كما أنهم ميالون بشده للصوت العالي، و الإزعاج، و يبدو ذلك جليا في أفراحهم، و أحزانهم على السواء، فهم يستخدمون مكبرات الصوت بكل الأشكال، و الأحجام ليل نهار، حتى الباعة الجائلين، لا يتحركون، و لا يبيعون بدونها... ما كل هذا العشق للصوت العالي، و الإزعاج ألا يمرضون بضغط الدم؟!!

كانت تلك أرائي في البداية، ثم :-

أيقنت بعض الحقائق :-

أولا :- يصعب جدا أن تجمع ثمانين مليون بني آدم تحت عبارة، و تعريف واحد أبدا، مهما تحريت الدقة.

ثانيا :- فيما يخص النظافة، فرأيي كما هو، لكن من اللافت أن بيوتهم دائما نظيفة!!!!!

مما يؤكد أن جينا حضاريا ما يعتمل داخل المصرين، لكن تأتي حكومات لا تستطيع الإيفاء بأبسط الحقوق، بل البديهيات، و منها النظافة.

ثالثا :- الإزعاج، أغلب من عرفت متضرر جدا من الصوت العالي في الجوامع -و أغلبهم من المسلمين- و من الدي جي -و أولهم أصحاب الفرح- و من المقرئ -الذي يصر على تعلية الميكروفون (انظر فيلم "الكيت كات")- فماذا إذن؟؟؟؟؟؟؟

هذا ما عرفته بعدها بسنوات: أن هناك ثقافة مسيطرة على كل شئ، و أخرى تابعة لها، ولا حول ولا قوة للثانية على الأولى، فالجهل جرئ جدا في مصر -كما هو في كل مكان- و المتعلمون و المثقفون يمتنعون؛ إما خوفا، أو قلة حيلة، أو مصابون باكتئاب يجعلهم ينتقدون فقط، و لا حول لهم في التغيير..... أه قشدة.

آه... يا رب صبرني... ما أسهل الكلام... يجب أن أتمالك نفسي، وأعصابي... لا يمكن أن أتورط في علاقة... هذا سيسبب لى المشاكل... آه... ما أسهل الكلام!

أرى أمامي فخذين مدملكين، يعلوهما –بإباء، وفخر- ردفان مكتنزان، بلا إفراط أو تقصير، ثم خصر دقيق... ماذا عن الوجه يا عم إيهاب؟
عادة... هذا الجمال لا يكتمل... انتظر... آه... لا ... آه ... "يا رب رئيس القسم ما يشوفها"... آه مما فوق آه! صدر أبيّ... أبيّ حجما وشكلا واتجاها آه... ينبوع حنان... نهدان من الشهد والسكر... ووجه دقيق الملامح جميل الصورة... غريبة... نادرًا ما تكون فتاة سمراء هنا بهذا الجمال، وتلك الملامح المنمقة، حتى شعرها ناعم كالحرير، حتى إن كانت تتحايل؛ لجعله كذلك -كما يقلن عنها- حتى إن كان في حقيقته يشبه أسلاك غسيل الصحون، فما تحته يشفع له... آه... لماذا أصبحت أعشق الشيكولاتة من يوم رأيتها، حتى إنها أغنيتي المفضلة الآن، و أنا صاحٍ، و أنا سائر، و في الحمام... حبيبي لون الشيكولاتة. و أكثر ما لفتني إليها الشبه الكبير بينها و بين **لبنى** ملاحة الوجه و إستدارة الجسم ترى هل طريقتها الخاصة في ممارسة الجنس تشبهها ايضا البجاحة .. الاحتواء .. و الأهم الحرية ...

سحر طالبة في السنة الثانية بقسم الوثائق والمكتبات... لا أعلم لماذا يسمونه بهذا الاسم، لكني أعلم أنه في الطابق الأعلى مباشرة، و أن فيه **سحر**، و أننا نمر عليه في الغدو والرواح لحجرة ٨٤.

تأتي **سحر** لقسم المسرح؛ لأن لها صديقة تدرس معنا... والقسم –عموما- مضياف، والطلبة فيه من غير الدارسين كثر، فعندنا من كليات التربية و الحقوق والتجارة -بمختلف مراحلها- وحتى الخريجين... في الحقيقة... القسم مُحتل من قبل خريجي كلية التجارة جامعة الإسكندرية؛ ففي قسم المسرح تجد طلبة القسم، وأصدقاء القسم.

لا أنسى أبدا أني -بعد أن تخرجت بعامين- عرفت أن **"إيمان رجب"** -وهى الصديقة الصدوق **لولاء حامد**- لم تكن تدرس معنا بقسم المسرح، وأنها طالبة في كلية التجارة**!!!** عرفت هذه المعلومات من شخص لا هو من أصدقاء القسم، ولا من الدارسين فيه، فتشككت، وأقسمت له إنها كانت تحضر معنا المحاضرات، وإني شاهدتها غير مرة تمضي في أوراق الحضور والغياب... لم أصدقه حتى أتى بالمصحف الشريف، وتوضأ، وأقسم بمغلظ الأيمان، إن إيمان لم تنتمِ يوما إلى قسم المسرح بجامعة الإسكندرية، والله على ما أقوله شهيد!

آه .. **سحر** من جديد . أعرف أني جريء، ولا أخشى الاقتحام، ولا أبالي بالصدّ.

لي أصدقاء يعتبرون الاقتحام حماقة غير محمودة العواقب، وطريقتهم في قضاء الحاجة تكمن في الانتظار، ثم الانتظار، حتى تأتي بنت، فإن أتت طواعية، فالباقي سهل. أما أنا، فلا... لا يرضي غروري، ولا يشبعني أن تأتي هي طواعية، على العكس، إن أتت، أتجاهلها، وأتعمد إذلالها.

يبدو أنني أستمتع باللعبة من أولها... إعداد العدة، وغزل الشباك، وتهيئتها... متابعة الفريسة، وجمع تفاصيل عنها... معرفة ما تحب، وما تكره، وما ترغب... ويأتي الاقتحام عنيفا... بـ"خناقة"... مشادة كلامية... أفحمها في نهايتها بحجتي، التي لا تقبل الشك..... كسؤالها بغتة عن سر حزنها، وإن أنكرت، أستشهد بعينيها، وما هو بادٍ فيهما من حزن عميق... يا ويلها -ويا سعدي- إن كان ما قلته يمس وترًا عندها، ميالة للفضفضة، ولا تجد من يسمعها، أو يطبطب عليها، وما عليّ إلا أن أفعل مع إبداء بعض الاهتمام بما تقول، وإسداء النصيحة الصادقة، ولا بأس من استعراض ثقافتي مستشهدا بكتاب... أشعار... مصطلحات **لفرويد** أو **آدلر** أو **هدفيل** .

سحر ليست صعبة المنال، ولا مستحيلة لكن أين؟؟؟

تلك العقبة التي طالما أرقت الشباب، ووقفت حائلا دون رغباتهم، سواء في حرام أو حلال.

المكان... بيد أن المكان ليس العقبة الوحيدة بالنسبة لي... آه يا سحر... أأخوض في العلاقة؟؟ أنغمس فيها بكُلِيَّتي؟؟ أعلم باستمرار أنها مجرد رغبة جامحة، لكني أحب حالة العشق نفسها، وأعيش قصة تشبه الحب... الحب الذي لم أعرفه، ولم يظهر لي يومًا، إلا بوجهه المادي فقط.

أصحو من نومي في قلب الليل على صوت من داخلي يؤرقني... يفزعني، ويمتعني.

يستيقظ عقلي أيضا، وأجدني بينهما حائرًا... ضائعًا... لاهثًا من فرط الرغبة والتأثر.

صلِّ على النبي، وسمِّ الله، ونم.

آه... **سحر**... الشفاه تنفرج عن أسنان بيضاء حادة منتظمة... سمِّ الله!

استعذ من الشيطان الرجيم!

الشيطان الرجيم :- والله -الذي لا أحلف به باطلا أبدا- لا ذنب لي ! أنا كنت نائمًا، وأحلم "وفي اللذيذ"... هو من أيقظني بتداعيات أخرجها من نفسه... نفسه... تلك الأمارة بالسوء، التي أعاني بسببها من البطالة، والفراغ، والملل... بسببها أتسكع طيلة النهار... وها أنا أؤرق بالليل، ولا أجد ما أفعله... وتظلمونني، وتصرفونني في النهاية كما يُصرف الكلب.

أهمّ بأن أستعيذ بالله من الشيطان...

الشيطان الرجيم :- انتظر... هل ستستعيذ بالله حقا؟

أنا :- نعم...

الشيطان الرجيم :- إذن سأنصرف قبل أن تفعلها "وبلاها نومة" وأخلع قرني إن أفلحت في طرد طيف سحر من رأسك.

أنا :- انصرف يا لعين... (لنفسي) هل جُننت أم ماذا؟

الشيطان :- لا !... ليس بعد...

أنا :- انصرف.

أحاول أن أنام... أغمض عيني فعلا... أحكم عليّ الغطاء... أتقلب... أضع وسادة على رأسي... أغمض عيني... وهل كنت فتحتها؟ أظن... لا بأس... أغمض عيني بإحكام... ينتظم نفسي... أحاول أن أنام... أرغب في وضع وسادة أخرى في أحضاني، فأضعها... آه... طويلة بشكل زائد عن اللازم... لا أدري لماذا يجعلونها هنا طويلة إلى هذا الحد؟ تمتد الوسادة من بين ذراعي إلى ما بين فخذي، فأضع إحدى رجليّ عليها... أضمها، و أحاول أن أنام... لدنة، ناعمة... وبها رائحة مميزة. **سحر** تطل من جديد... أضم الوسادة أكثر، فأكثر... أكثر... تأتي تفاصيل جسدها تباعا... أشلح عنها الملابس القطعة تلو الأخرى... آه ... الملابس النسائية، وجمالها الوحشي! كأن من صنعها شيطان... ألا يكفي ما تحويه من مفاتن، حتى تتفنن هي أيضا في إظهار ما تريد منها، وما تخفي؟ آه الملابس النسائية، وما هي عليه من رقة، وخصوصية، وروعة... آه... أضمها... ألثمها... ويستيقظ عقلي من جديد... أقنعه ألا ضرر مما أفعل هنا، طالما أنه يحدث بيني وبين تلك الجدران الأربعة... اللذة تقتلني... يباغتني بسؤال مُلِّح:

وهل ستنسى ما حدث الليلة حين تراها في الصباح؟؟

آه... أتألم... أُجن... أتقلب كأني على جمر. "أكون كالكلب الذي يشم رائحة كلبة في حالة استعداد للإخصاب، فيُجن" الكلب المسكين يسيل لعابه... يصدر نباحًا غريبًا "يظل ٢١ يوما - هي مدة انبعاث الرائحة- لا يعي إلا الاستجابة لها" مساكين –أنا، ومن مثلي، ليس هو... هو سيجد في النهاية من تستجيب، وسوف يتم اللقاء الميمون في أي مكان، خلف أي حائط، و من الممكن أن تأتي له بكلاب صغيرة، تحملهم، وتلدهم، دون الحاجة لتحليل DNA، أو قضية إثبات نسب... سيفرح بهم، ويرعاهم، أو قد لا يعرفهم من الأساس، وليس ببعيد أن يعاشر إحداهن في مرة قادمة- حياتنا أكثر تعقيدا .. ولكن من منا يرضى حياة الكلاب؟

آه... عطر الرومبا .. **سحر** من جديد... اهدأي يا نفسي... اهدأي أرجوك... أتوسل إليك، ولكنها لا تهدأ، حتى أمارس تلك العادة الذميمة الممتعة المنهكة... آه!

الشيطان الرجيم:- أرأيت؟؟؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن نفسي، ومن الهوى.

الإسكندرية 1996

وأحلى ما فيها العشق والمعشقة
وحبتين الضحك والتريقة

جاهين

ولاء

أعشق الإسكندرية، والإسكندرية تعشق رائحة البحر، والبحر يعشق فاتنة في البلاد البعيدة....
آه... يصدح صوت الشاعر أمل دنقل من الكاست بجانبي، فقد استعرت لتوي شريطا نادرا - حينذاك- عليه أشعار مسموعة بصوت الشاعر أمل دنقل... آه... هذا جل ما أفدته من وجودي طالبة في السنة الأولى بقسم المسرح بجامعة الإسكندرية.
ليس جل ما أفدته شريط الكاست طبعا، ولكن معرفتي بأمل دنقل، ونجيب سرور، و صلاح عبد الصبور...
وأرسطوفانيس -هه ..من؟- يوناني، لا يُفهم.
ليلى، أراك مرة أخرى تضحكين.

قسم المسرح بجامعة الإسكندرية عبارة عن ممر طويل، متفرع من ممر أطول منه، يحوي قسم اللغة العربية .. تقسيم الأقسام في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية له العجب، و لا تفسير منطقي له غير أن هناك أقساما "ولاد البطة البيضاء"، و أقساما "ولاد الجارية"... يعني نظام "دكة، و لا سرير" حين ارتآ من قسمه - و أعتقد فيه حسن النية- أهمية لقسم ما، فاز بوضع "سرير"، أما الأقسام قليلة القيمة و الأهمية -من وجهة نظره، و وجهة نظر المجتمع، و الناس- فكان نصيبها "دكة"، فمثلا، أقسام مثل اللغة العربية، و اللغة الإنجليزية، و الفرنسية "سرير" طبعا، حيث المكان الأوسع، و -يا للعجب- مدرجات -أستغفر الله العظيم.
أما الأقسام "أولاد الجارية" -و على رأسهم قسم "الهشك بشك" المسرح- فله ممر... مجرد ممر -و يحمد ربه، و يبوس إيده وش، و ضهر.
نجحوا -في سنوات متقدمة من عمر القسم- أن يقسموها إلى حجرات؛ لتستوعب الاطراد الزائد في أعداد الطلبة و المدرسين.
عرفت من خلال القسم فن العبث... كيف؟ سأشرح لك:

أولا :- كونك تدرسين المسرح نظريا، ذلك أشبه بالطبيب الدارس للجراحة نظريا.

اللهم إلا بعض التدريبات في غرفة 84 ، وعلى الرغم من اسمها -الذي يذكرني بغرفة ٨ التي مات فيها الشاعر أمل دنقل- إلا أنها تغنيك -إن أردت- عن سؤال اللئيم، إذا احتجت –مضطرا- لقسط من العملي.
ومن فرط العبث في القسم أن أغلب الأساتذة المدرسين ليست لهم أي علاقة بالمسرح -لا من قريب ولا بعيد- لدرجة أننا كنا نتفكه بأن دكاترتنا لا ينكشفون على مسرح، ونضحك.
أراك تضحكين.
الاستمرارية في قسم المسرح تحضك على أن تكن موظفا صالحا؛ فالمعيدون، و السادة الأساتذة موظفون بدرجة مدرس... منعزلون تماما عن الحياة الثقافية، و الفنية... حتى حضور الفاعليات معدوم تقريبا. أللهم إلا إذا طلب من أحدهم العمل كعضو في إحدى لجان التحكيم في الأقاليم -مع مراعاة صرف البدلات، و الوجبات، و خلافه-: قصر ثقافة السمبلاوين .. بيت ثقافة بشتين ..

أخوة جمعية الرفق بالفنان الهاوي ببيت ثقافة مطوبس... و الحال يزداد سوء مع مرور الزمن.
فلا عجب أن يأتي اليوم الذي يعير فيه العمل الفني الجيد بمعيار أخلاقي بالأساس !!!

بالنسبة إليّ، كلمة "أخلاقي" تعني الاعتناء بالقيمة الفكرية في محتوى ما يتم تقديمه للناس، فلا تضيع أعمارهم أمام عمل فني بالاسم فقط، و لا يحوي أي قيمة فنية أو فكرية، و لا يقدم أي إضافة... هذا هو المعيار الأخلاقي للعمل الفني "بالنسبة لي"، لكن أخلاقي بمعنى "ديني"، فهذا غير معقول أبدا.
فالعمل الفائز بالمركز الأول -وفق المعيار الديني للسيدة رئيسة القسم- هو الذي تحافظ فيه الممثلات على احتشامهن!!! حتى، و إن كن يجسدن دور عاهرات أو مسرحية يونانية قديمة - وقعت أحداثها قبل ظهور الإسلام بقرون- تعجب السيدة الفاضلة بملابس الرجال فيها؛ لإنها تشبه ملابس الإحرام!!!
و عبثا يحاول البعض إفهام السيدة رئيسة القسم أن هذه ملابس تلك الحقبة الرومانية، و أن المصادفة وحدها هي السبب... و لا حول و لا قوة إلا بالله .
طيب... هل ينعكس هذا الهم الأخلاقي لدي الأستاذة الكريمة في إخراج طالب يضرب به المثل في إتقان اللغة العربية مثلا؟ لغة القرآن الكريم ... لا تضحكني يا أخي، فالطلاب يتعاملون مع اللغة العربية، و كأنها لغة أجنبية: طلسم لا يمكن حله، و هم ثقيل عليهم اجتياز اختباره.
طيب... هل يخرج الطالب من قسم المسرح بجامعة الإسكندرية واعٍ بآليات السوق، و متطلباته؟ طبعا لا، فجوة كبيرة بين ما أضاعه من وقت في دراسة جامعية، و تصوير مذكرات، و شراء كتب، وتثبيت مُزز، و بين متطلبات السوق.
أما في قسمنا العزيز، فقد أخذت رئيسته على عاتقها -منذ زمن- حماية الأخلاق و الفضيلة من هذا النوع "البلوشي"، الذي لا يكلف نقودا، و لا تعبا، و قد تولت نشر الإسلام داخل القسم - الإسلام البقيقي إياه- فلا تتعجب حين تنفرد بالساعات مع طالبة في مكتبها للتحدث في ضرورة ارتداء الحجاب، على طريقة: في عصر الذئاب لا تخلعي عنك الحجاب.... و هكذا.

أما أيامي أنا، فكان الوضع مختلفا!! كان قسم المسرح بالإسكندرية صورة مصغرة من مصر في منتصف التسعينات، و كما كان سمير رجب في الجمهورية، و إبراهيم نافع في الأهرام، و غيرهما كان رئيس القسم هو الحاكم بأمره .. كان من يرأس شيئا حكوميا في تلك الحقبة، يتحول المكان إلى عزبته المِلك، التي سيربح منها سواء حسن محصولها أو لم يصلح.. فراتبه ماشي ماشي، و بدلاته، و حوافزه، و خيرات وظيفته من "محلسة و هدايا و عزومات" مهما فعل... مهما فعل... إذن، الأبله فقط هو من لا يحول موقعه إلى عزبته، بل الأكثر من ذلك، يصبح من يخالف تلك المنظومة الجهنمية معزولا و شاذا و منبوذا أيضا...
في محنتي لم يقف بجانبي غير د **/ عز الدين شكري** لم تكن نواياه خفيه و لم يترك لي خيار سمى ما فعل أنه شهامه و حرص على شرف القسم و فعليا كان ينتقم من رئيسه
و ما يهم أني رضيت بتلك التسميه
ما يقال :- أن رئيس القسم صاحب فضل على عز الدين هو من سانده حتى تم تعينه معيد كان عز الدين حاصل على بكاليريوس هندسة و له نشاط مسرحي ملحوظ حتى إنه كون فرقة و كتب للمسرح عدة مسرحيات تم نشرها في كتاب المسرح العربي ممهورة بتقديم دكتورة شهيرة ذات سمعه نقدية طيبة الخبثاء فقط هم من قرن بين وسامته و طوله و عضلاته و بين حفاوة السيدة الناقدة في هذا التقديم الذي حظي به ليس للكتاب فحسب و لكن لمنحة يدرس فيها المسرح في لندن . له سمعه في إستغلال نقاط ضعف الآخرين للحصول على ما يريد .
كان لدكتور عز الدين رفيقه حار المراقبون في أمرها قال بعض المقربون إنها زوجة سريه .. أما آخرون فأقروا أنها رفيقته و حرصوا على إثبات نظرتهم ليس بالقرائن لكن بأبيات من

الشعر تحكي عن فوائد " الرفق " بشكل عام .. كان أهم ما يميز رفيقة عز الدين إنها شديدة القبح .. لابد إنه لمس جمال روحها و أن هناك تكامل فكري بينهما يؤكد عليه إدارتها الناجحة لمؤسسه ثقافيه سيعلو شأنها فيما بعد لكن الأصل في علاقتهما نقص يسعى للكمال . الزوجه الرسمية مليحة الوجه تفوقه دائما بدرجتين علميتين و طبقتين إجتماعيتين . و لا تهادن و لا تلين تتعامل و بينما بوضوح تلك الفروق البينة . لم يرى بد من أخرى يشعر معها بالتفوق المفتقد .
إمتلكت أسرة زوجته محلا شهيرا ذا عدة أفرع للأحذيه الراقيه فأغرق رئيس القسم و زوجته و أبنائه و حماته بالأحذية حتى تم تعينه معيد . تنوعت الهدايا أثناء اطروحة الماجستير بين الأحذية و الحقائب الجلدية و الذهاب مجانا أو بتخفيض لإحدى القرى السياحية المملوكة لعائلة الزوجة . و أثناء سنى أطروحة الدكتوراه تم علاج حماة رئيس القسم في المستشفى التي يشارك فيها أحد أنسبائه مع آخرين مع إستمرار هدايا الأحذية من كل الأشكال و الألوان و المقاسات و التي رأي عز الدين إنها تناسب رئيس القسم تماما .. كان يحرص على أن يعرف الجميع بتلك الهدايا و الغريب إننا لا نعرف منه مباشرة أبدا . سبحان من حطم تلك العشه بفأس صلب .. ما _ أكله بط بط سيخرجه أوز أوز _ ففور حصول عز الدين على الدكتوراه لم يأخر فرصه يهز بها عرش رئيس القسم و تركها حتى حدث و كان ما كان معي ..

كان يحاضرنا في مكتبه . بعد أن انتهت المحاضرة و غادر الجميع إستبقاني
عرض رئيس القسم على مباشرة و دون مواربه أن أريه صدري حتى يرى إن كان حقيقيا أم سيليكون . كنا في أواخر الخريف هبت النسمات رطبه من شباك مكتبه تحمل رائحة البحر . و تؤكد رائحة السكون الذي ساد الغرفه . كانت السنة الأولى لي في قسم المسرح و لم أكن أعي تماما ما هو خرف الكبر . إنزعجت بشده من إستبقائه لي بعد خروج الطلاب من المحاضرة التي كانت تتم دائما في مكتبه لكني لم أكن أملك القرار إذا ما أمرني بعدم الرحيل و أن أجلس قليلا على أن أنصاع .
لكن بعد أن سمعت هذه العبارة وقفت مسمرة للحظات ثم فتحت الباب و خرجت .
بقيت ليومين لا أذهب إلى الجامعه .. لم يكن هناك بدا من الذهاب . بنزق طفولي إسترجعت طلبه و لا أدري ما سبب تلك النشوة التي نمت داخلى . حين جاء موعد محاضرته دخلت و حين إستبقاني في نهايتها بقيت هذه المرة كنت متوقعه السؤال عن صدري فلم أجفل لكنه طلب مني الجلوس إنشغل للحظات في أوراق أمامه لا أدري إن كان مشغول حقا أم إفتعل ذلك ليتصاعد توترى أو ليرتب أفكاره . رفع عينيه و خلع نظارته الطبية و حدق في ثم قال :-

_ آلا تريدين الجلوس مكاني هنا يوما ما ؟؟؟؟

هذا خارج إطار احلامي حتى أن ما يعرضه لم يلامس حلمي لمسا . لكنني في تلك السن المبكرة لم أجد ما يمنع أو يتعارض بين حلمي الأصلي بالتحليق مع النجوم و ما يعرضه على بالعكس قد يدعم هذا ذاك . قام عن المكتب فجفلت امسك بكلتا يدي نهضت و شعرت بانفاسه الساخنه على بشرتي ظننت أنه سيقبلني لكنه قادني بهدوء و أجلسني بهدوء على كرسي مكتبه و تركني و خرج .
الكرسي كان مريح فعلا و المكتب مهيب أغمضت عيني و حلمت برئاسة قسم المسرح لكن سحنة سماحة السيد رئيس القسم طلت من وراء ظلال الحلم بغت و فتحت عيني و أخذت حقيبتي و مشيت .. لم أستطع يوما أن أتخيل نفسي أتماهى في أحضان ذلك العجوز يأخذني خيالي فأعود بإحساس غريب بالنشوة يصاحبه إحساس بالغثيان .. علم د / عز الدين شكري بالأمر لأني فضفضت رغما عني إلى " **إيمان نمر** " كنت أحسبها صديقة _ و ندمت أشد الندم

بعدها _ كانت إيمان تدرس في كلية التجارة و كانت ممثلة في فرقة " الظلال " لذا كانت تحرص كأي موظف يريد الحظوة عند رئيس العمل على توصيل الأخبار و العمل كاعصفورة تنقل أخبار الوسط المسرحي السكندري ، لما رأت عدم إهتمام و سخرية مستمرة منها و مما تحمله من أخبار و من الشخوص اللذين تحمل أخبارهم من عز الدين و رفيقته وبالتبعيه باقي أعضاء الفرقة . لقد دأب على تسفيه كل من يخالفه ، حولت البوصلة بإيعاز منه ناحية قسم المسرح ، حرصت على الاقتراب مني كي أكون زريعه لوجودها داخل القسم .
و تم إستخدامي ، أدخلني في لعبه مع الكبار يسحق فيها الصغار أمثالي و ساعده على ذلك قلة خبرتي و إصرار الأخر على الوصال مما جعلني أصدق عز الدين حين قال لي أن رئيس القسم لن يكف يده عني طالما قد وضع عينه علي .. ما الحل ؟؟؟ الحل هو القانون
أبلغ رئيس الجامعه الذي أبلغ بدوره الأمن و تم (الكامين) كما إتفقنا حيث داهم أمن الجامعه المكتب في اللحظة المناسبه تماما .. بغت و حاول رفع بنطاله لكن رئيس الجامعه و عميد الكليه _ كان حضورهما ظاهره التأكد من حماية الفضيلة و باطنه الفضول و التشفي _منعاه من رفع بنطاله و أكدا على ضرورة إثبات الحالة .. كانت بلوزتي مفتوحه تماما و صدري مدلى للخارج حيث كان يعبث رئيس القسم منذ قليل .. حين هممت بحركة لا إراديه لإدخاله منعني العميد و عيناه لا ترتفع عن ذلك الكائن من المطاط المدلى أمامي شعرت بشرار عينيه تحت النظارة المقعرة و هو ينفذ إلى داخلى و برغبه يكبتها الموقف و المكان و الظرف يكتم صراخ رغبته في إلتهام هذين الطائرين و مرمغة رأسه بينهما و هو يبكي .. بكاء حارق ذا نشيج ..
إقتيد رئيس القسم و أنا و معنا العميد و رئيس الجامعه للشهادة .
لكن يحدث فقط في مصر أن يبقى بعد كل ما حدث هذا الشخص في منصبة ..
أسقط في يدي .. توقعت شر إنتقام .. لكن العكس تماما هو ما حدث .. تركني أكمل سني دراستي في صمت ، بل و تجنب دفعتي كلها فلم يدرس لنا إلا مادة واحدة طوال العام .. مما ضاعف إحساسي أن بكاءه و هو يداعب حلمتي صدري و يقبلهما و يمرمغ رأسه بينهما كان حقيقيا
إمتنع عن مضايقتي حتى لا يثار غبار تلك السقطه من جديد . لكن إنتقامه أتخذ شكلا غريبا علمت من إحداهن إنه يضطهد من يقترب مني ، يمحي الروائح الذكرية من حولي بممحاه من فولاذ .. غيرة أم وقف حال أو كلاهما . كان من بين هؤلاء .....

إيهاب رمضان اسمه مصري صميم، بيد أنه نزح إلينا من سوريا الشقيق، بعد أن درس الفنون الجميلة هناك، وجاء ليدرس الأكثر جمالا هنا. كان في عينيه الأمل... أمل صادق، وطموح لايقبل الردع .
شعر بالطمأنينة لوجوده بالقرب من العاصمة... قاهرة الأحلام.
هذا الكلام ليس لك الآن يا ليلى . أغلقي أذنيك من فضلك

أدركت من البداية أننا مختلفان -على الرغم من تعلقي الشديد به- لكن الإدراك يغلب، فقد كان كالشمس، كالنار لا يمكن الاستغناء عنهما، لكن من يقترب منهما يحترق.
أردت الاحتفاظ به للأبد، فقاومت رغبتي فيه، فصرنا أصدقاء... من ناحيته، اطمأن بالا لهذه الصداقة؛ فهي لا تخلو من منافع، وهو غريب في بلاد غريبة... أحبه... نعم، بمعنى أني أتمنى له الخير، و لولا أمنية الاحتفاظ به للأبد، كان سيصبح لي معه شأنا آخر.

كانت رغبتي فيه لا يكبحها إلا التربية... نعم، لقد كنت بنتا صالحة، حصلت على تربية تربط تماما بين شرف المرأة، و أعضائها التناسلية، لكن بشكل يختلف عما تبادر إلى أذهانكم حالا!!!!!

لقد كانت أمي من أصول لبنانية مسلمة بالتجنيس!! حيث أطاعت أبي في اعتناق الإسلام ليس عن اقتناع، و لا إيمان –فقط- لعثرتها، و عوزها بعد هجرتها من لبنان في رحلة مضنية إبان الحرب الأهلية هناك ، ظل إسلامها على الورق... أضحك كلما تذكرت تباهي أبي بأنه السبب في إسلامها هي و أمها... لم يدر يوما بخلده أن أمواله هي السبب، و لم تكن كثيرة بحال، حيث احتاجت -هي و أمها- لمن يقتنيهما، و يوفر لهما ضرورات الحياة فقط.

ظلت أمي منتمية بأفكارها إلى طائفتها الدينية -أو هذا ما أعتقدته أنا؛ فلم أجدها يوما تقرأ قرآنا، أو إنجيلا (عهدا قديما أو جديدا) لم تركعها يوما إلا إرضاء لأبي، حين يلح عليها، ثم تترك الصلاة فور أن يخرجها من ذهنه، و يسهو عنها، و ينسى التتميم على إسلامها- تدخل بيتنا، فلا يصادفك لوحة لآية الكرسي، أو صليب يوحنا، أو مذبحا مصغرا من الطين الصلصال، أو تمثالا لبوذا حتى... ترى... إلى أي طائفة من طوائف لبنان التسع عشرة كانت تنتمي أمي؟!! عبثا حاولت فهم تلك الطائفة التي تنتمي إليها أسرة أمي ..
قد كان لأمي رأي في استخدام الجنس... رأي غريب بعض الشئ عن الشرقيين بصفة عامة، و دائما كانت تستشهد بـ**إستير**، و تتسأل: هل كانت **إستير** عاهرة، حين فدت قومها، و نفعتهم من خلال علاقتها بالملك **أحشوروش**؟ و تجيب: طبعا لا.
و هل حمل **بتشابع** في النبي **سليمان** بن الملك **داود** جاء سفاحا؟!!
طبعا لا ..
المسلمون يتعاملون مع الجنس دائما برفض، و كأنه شئ يجب التستر عليه، أو الخلاص منه... أما نحن -لا أدري من هم- نتعامل مع الجنس على أنه شئ إنساني أصيل، يجب تقنينه، و الاستفادة منه. لم يخجل **داود** من متابعة **بتشابع** زوجة قائد الجيوش، و هي تستحم في الباحة الخلفيه لقصرها المجاور لقصره، بل سعى لامتلاكها... و هي من جانبها لم تمانع؛ فملك -مثل **داود-** أهم من قائد الجيوش، الذي تخلص منه فيما بعد؛ ليتزوج **بتشابع**، بعد أن حملت في وريثه **سليمان...** إذن يمكن استغلال الجنس للإفاده منه؛ بما أنه شئ إنساني... مثله مثل الجوع، و العطش، و طالما كان استخدامه للمصلحة -عامة كانت أو خاصة- فهو جائز، بل و مستحب... أما الزنا؛ فاللعنة تحدث عندما نُهدر تلك الهبات الألهية دون خدمة لقضية أو منفعة!!!
لذا لم يكن لديها ما يمنع استغلال الفرصة التي عرضها على رئيس القسم . أمي ذات العقلية العملية و الهدايا الموحية .. فستان .. أدوات تبرج .. زيارة لصديقة لبنانية صاحبة مركز تجميل في سموحة للإعتناء ببشرتي و تركيب (إكستينشن) لشعري .. حديثها هي و جدتي عن الجمال كاهبه إلاهيه و عن فلانه أو علانه الاتي إنتقلن من طبقة إجتماعية إلى أخرى أعلى منها بواسطة جمالهن و عقل من ورائه يحسن إدارة تلك الهبه الإلهيه . أخشى الآن -حين أتأمل هذا الكلام- أن أواجه نفسي بحقيقة الديانة التي تنتمي إليها أمي. هل كانت طائفة لبنانية حقا، من التسع عشرة طائفة هناك؟ إن الحرب -و ويلاتها- جعلتها تنظر للدين -كل الدين- نظرة المحلل المتأمل المنظر جعلها تحب الدنيا كإبنة بارة ، تتعامل بمعطيات و منطق و ميزان دنيوي ... الحرب... موت أخيها الرضيع تحت الأنقاض... تقطيع الأجساد... التمثيل بالجثث... كل هذا ترك أثره العنيف... أمي لم تكن سوية تماما، و كانت تحتاج لإعادة تأهيل بعد أن قُتل أبوها و أخوها و جدها -الذي تجاوز السبعين- ذبحا أمامها...
جميلة، و طيبة كانت أمي، التي ورثت عنها التفكير العملي، و الذكاء .

لم تعد أمي للعيش في لبنان أبدا -رغم أن حنينا كاد يقتلها- ذلك لأنها لا تريد أن تعيش في بلد يخوض أهله حربا كل عشر سنوات... و تمارس فيه الكراهية باعتبارها دين... وجدت الأديان

لتنظم حياة البشر، و تهذيبهم... فيما يأخذها البعض ذريعة لامتلاك الأرض، والتسلط، و الكراهية.

كان إيهاب ضئيل الجسم ، لكنه ليس معيبا، كما أنه ليس قصيرا... جميل الوجه -رغم حوّل وراثي في عينه اليمنى، إلا إنه حوّل من ذلك النوع الذي يعد عند العرب إغراء- يتمتع بملامح غاية في الوجاهة، والتناسق... منمق بعناية... ملامحه لا تصلح إلا لرجل -رغم تناسقها- لكن هل كل ما يبرق ذهب؟؟
شعره بني غزير، وعيناه تنطقان بالذكاء، والمكر أحيانا... كلما رأيت الشعر النابت في صدره، شعرت برغبة عنيفة في لمسه، و لعقه -أغتاظ منه حين يحلقه، و لا أدري لماذا أود دائما أن أسأله، و أخشى أن يشي سؤل كهذا بما في نفسي من لمس، و لعق، و ما إلى ذلك... كيف أسأله؟؟؟؟؟؟؟ ببساطة... هكذا:

_ عمت صباحا يا إيهاب
_ عمت صباحا و رحمة الله و بركاته
_ كيف حالك اليوم
_ بخير
_ لماذا تحلق شعر صدرك يا حيوان؟ ألا تدري أنه يعجبني؟؟؟؟
_ و مالك أنت، و شعر صدري، و لماذا تركزين معه أساسا؟؟!!!!!!!!!!

لماذا يحلق شعر صدره؟؟؟ لماذا يُلح سؤال كهذا على خلدي؟؟؟؟؟ ما الذي يضطر رجل لحلق شعر صدره؟؟؟؟ طيب كيف لي أن أطلب منه -بطريقة مهذبة، لا تشي بشئ- أن يتركه؛ لأني... بـ اموت فيه.

إيهاب ... كان حنونا وجريئا ومتهورا وجبانا... لا عجب في وجود طرفي النقيض في شخصيته؛ فقد كان به الكثير من المتناقضات. هذا ما استشعرته منذ البداية، وأكدته لي بعدها الأيام .
أدركت من البداية أننا مختلفان لحد الشتات؛ فهو كريم جدا، وأنا أعد كرمه إسرافا.
هو يريد أتباعا من حوله، وإحساسي بذاتي يأبى إلا أن أكون ندا... صوته من رأسه يقنع و يصدق صوت عقله ، شديد الاعتداد بنفسه، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه مصاب بآفة الشرقي، إذن نحن غير متناسبين على الإطلاق؛ فأنا ممثلة.

.....

ليلى

سوريا 2000

إن كان الجميع هنا يعتقد أن بيتنا، الذي نحيا فيه -أنا، وأمي- منذ توفي والدي، وهاجر أخي الكبير للسعودية، يشبه البيوت في مسلسل باب الحارة الشهير، فهو مخطئ، فهو بيت شديد التواضع، في ضيعة نائية بدير فول بحمص.
مات أبي منذ أقل من عامين، أشار أحد الجيران علينا -لا أدري على وجه الدقة إن كان ناصحا أم طامعا- بأن نبيع البيت، وننتقل للعيش في حلب.
ولما كانت الفكرة تراود أمي بالأساس -حتى أثناء حياة أبي- فلم يمر شهران إلا وقد حزمنا أغراضنا، وشحناها إلى حلب؛ لتمكث في بدروم بيت جدتي، في انتظار حضورنا، لحملها لمكان لا نعرفه الآن على وجه الدقة.
مكان صغير متواضع، لم أشعر فيه -ولو للحظة- بهناء، ومع مرور الوقت، صرت أزداد حنينا إلى بيتي القديم... بأنفاسه، وصداه، وأيام طفولتي، وصباي، التي لا تعوض... تذكرت أبي، وبكيت بحرارة... لا أدري أبكيته، أم بكيت أيامي -معه وأمي- في بيت قديم صحيح، ومتواضع، لكني لم أنعم براحة، وخلو بال، كتلك التى عشتها هناك، دون أن أدري لهما قيمة في حينها... فقدتهم بالتدريج أولا الراحة ثم خلو البال ثم أمي .
طلب مني أخي -حينها- أن انتقل للعيش معه، ولما كنت وزوجته لا نتفق أبدا، ولما كانت الفرصة المتاحة لى معهما أن أمكث بالبيت مع أولادهما، حتى يعودان من عملهما، رفضت، و أصررت على الرفض، وكي لا تبقى له حجة، داومت على استفزاز زوجته، حتى انتهت إجازتهم قبل موعدها بإسبوع كامل، إثر "خناقة" وصل صداها للسعودية -لزملاء أخي، وزميلاته هناك- وإلى جميع الأهل والأقارب في طول البلد وعرضه.
كان -إذن- الحل الذي عرضه خالي صالح على أخي هو أنسب الحلول، وبذلك انتقلت للعيش مع خالي المترمل حديثا، وابنتيه في دمشق... العاصمة... في إحدى حارات حي الأمين... في حارة ضمن السور القديم لمدينة دمشق... وبدأت فصول حياتي تتغير شيئا، فشيئا.

.....

ولاء

الإسكندرية

في مطلع الألفية

ولما كان السفر إلى القاهرة، وإثبات الذات -بالنسبة للموهوب- دربا من المستحيل -إلا من رحم ربي- قرر إيهاب -بعد أن أنهينا دراستنا، وتخرجنا- العودة إلى بلاده.

فمن هناك يستطيع أن يعمل، وينجح، ويجد لغنائه صدى -على حد تعبيره- فمن هناك يستطيع أن يعمل بشكل أبسط بكثير -إذا ما قورن بما نعانيه نحن هنا.

هناك لازالت المعايير معتبرة: ذاكر تنجح ... أجتهد تجد... لم يكن محتاجا لأن يكون ابن فنان ليصير فنانا، و لا ابن طبيب ليصبح طبيبا... فقط موهوب في مجاله، و لديه مشروع، و طموح، و مجتهد.

هي بلاد بكر، تفرح بابنها الموهوب، لا تحاربه، أو تأكله حيا، أو أن أبناء فقراءها كالقمامة، يجب التخلص منهم... لبعض الموهومين، الذين يشكلون زحاما يتعب، و يرهق، و يبتذل نشاط أي موهوب حقيقي.

أحترق الآن حين يتكأ أحدهم على مقعده، و يتحدث عن أن تلك المنطقة ولَّادة، و ينسى تاريخ مصر كله في جرة قلم، و يكمل متماديا أن الله أنعم عليها بكذا، و كذا، و أنهم أكثر موهبة منا... نحن؟؟؟ أريد أن أرى "المتر" الذي تعير به مقدار الموهبة عندنا، و عندهم!!!

لقد شاهدت بأم عيني بلدا جُنت؛ فأكلت أبناءها الصالحين، و حافظت على الفاسدين... ليس أخطر مما حدث للمصرين، حين ابتاعوا الحق بالباطل... إهمال الصحة، و التعليم كوم، و إفساد الضمير و الأخلاق كوم، فاختلت المعايير، لذا لا تندهش أبدا حين يكرَّم هؤلاء الفاسدون على فسادهم، حتى الشعب -المتضرر الأول من أفعالهم- يصفهم بالأكثر ذكاء... تحويهم بلادي كما يحوي الشعر القذر القمل و الحشرات.

رأيت تجار دين يتسلطون على الناس في الفضائيات، يحرمون عليهم عيشتهم، حتى المياه التي يشربونها... رأيت بلدا يسرق، و شعبا يصاب باكتئاب جماعي، جعله يتمسك بمظاهر الدين، في انتحار جماعي، حيث لا أمل لهم في الدنيا؛ إذ الاشتياق للآخرة، حيث ستتحقق الأحلام.

البقاء لمن يورث أبنائه دينه، و اسمه، و وظيفة حكومية -أو غير حكومية- ففي كل الأحوال الابن لا يستحقها، و لا مؤهل لها... جوع... صار المصريون جوعى... كل شئ مهما كان تافها، و قليل القيمة... صار أملا... جوع... جوع

نشأت في بلدي بعد أن عبقه الفساد، و تفرغ لطرد كل ما هو جميل، و نظيف شئ مقرف أن تقضي شبابك في بلد ليس يحيا أيامه.

تربى لدى شعب مصر شذوذ، و لوثة... أصبح المرؤ يحج بأموال الرشوة!! ترعرعت في بلدي –مصر- و هي عجوز عقيم، تسحب السجادة من تحتها، فتكشف سوأتها... شئ لا يوصف أن تنشأ في بلدك، و هي تحيا شيخوخة عفنة، تبول فيها على نفسها، و تتبرز، و تتقيأ... تهذي، تجري في الشوارع، و عليك أن تبرها، و تتحملها، و إلا تصبح جاحدا ناكرا للجميل... رغم أنها تلقيك عاريا على الطرقات، و تجعل كلاب الأرض -كل كلاب الأرض- تجهلك، و تسبك، و تعيرك بفقرك، و بانتمائك إليها... جعلت منك شحاذا، و أنت الفرعون، و السيد، و فارس زمانك...

جَبروتك لن ينتهي... اصبر... فجبروتك لن ينتهي... أنت الباقي، و هم زائلون.

بلدي... الشقيقة الكبرى... قد تعجل باقي الأشقاء موتها، و بحث كل عن ميراثه، و أنا أبكي...

كان الوضع كذلك...

هو...

حسب حسبة بسيطة، و صحيحة... ازدهر الإنتاج، واتجهت استثمارات الخليج في هذا المجال إلى سوريا والأردن؛ فاتجه إيهاب إلى هناك عائدا إلي بلده... في البداية لم أفهم... ثم فهمت.

تسكع قليلا على أبواب شركات الإنتاج -ما ظهر منها، و ما بطن- فأدرك أنه عادي... عادي جدا، ليس به ما يميزه... الشباب كُثر، و منهم من يفوقه موهبة، و وسامة...

الوسامة تسهل الطريق، و تختصره كثيرا، و تأتي في المرتبة الثانية مباشرة، بعد أن تكون ابنا لفنان أو صحفي... الوسامة، و العضلات.

و منهم من يكبره سنا، فبذلك يصبح مناسبا أكثر لنجمات ما فوق الستين... و منهم من لديه سيارة... سيارة غير فارهة لكن اسمها سيارة، من قبل مساعدي الإنتاج، يستخدمونها لقضاء بعض المتطلبات للعمل، و ينال صاحبها -بذلك الاستخدام السخروي- حظوة عن باقي أنداده -في القاهرة، المظاهر أهم كثيرا من الجوهر- و منهم من يأتي بالحشيش، و النسوان لمن يريد، و يسهر السهرات إياها، التي من خلالها، يتم تظبيط الشغل -و هو ليس منهم- و منهم القبيح، لكن قبحه مطلوب، أو ما يسمى "التيب" السمين... القصير... و هو ليس منهم.

وبالرغم من ذلك، كان إيهاب لينجح في القاهرة، لكن بعد سنوات طويلة.. صحيح أنه ليس من أي مما سبق، لكنه موهوب جدا، و مميز جدا، له تأثير، و بصمة يتركهما أينما حل، بلا ضجيج، ذلك فضلا عن جاذبية هي جاذبية خاصة، تضاهي جاذبية "العضلات"، كما إنه يشبه الوسط الفني في مصر -و للوسط قوة طرد مركزية، قادرة على لفظ كل من لا يشبهها- و لفرط تأملي له، أرى أنه فكر بشكل صحيح، و عاد إلى بلاده... ضمن له ذلك أن يُطلب للعمل هنا بكرامته... ألم أقل لك: ذكي؟!

.....

أمشي... أمشي... أمشي... كلما أصاب بخيبة أمل... أمشي...
عندما ينال مني الاكتئاب... أمشي... إن أردت التفكير بعمق... إن أردت تصفية الذهن... إن وقعت في حب جديد... إن أردت أن ينهد حيلي؛ لأستلقي على سريري، و لا أفيق إلا في الغد... أمشي... المشي يساعد على ترتيب الأفكار و يخرج الطاقة السلبية بين شهيق و زفير .

الابن يكتسب ثقته في نفسه من أمه، و هي لم تفعل ذلك البتة، ولأننا لا نعلم كيف نتعامل مع الموهوبين، كانت عيشتي معهم جحيم لا يطاق .

أمي لا تستطيع أن " تفوِّت " مسلسل الساعة السابعة... و لا الخامسة، و تحفظ مواعيد باقي المسلسلات، ولا تخطئهم... كأسماء أبنائها، و تسب الممثلين، و الممثلات ليل نهار، و لا تتحدث عنهم إلا بوصفهم خاسرين لدينهم، و لا يخافون الله... أمي تتحرش بي لفظيا ليل نهار، بوصفي أراجوز، و خاسر لديني، و فاشل... ابنها البكر المخيب للآمال، ، بعد أن تحملت من أجله الشقاء، و البؤس، و فقر الأب، و قلة حيلته، و ثقل ظل الحما، و مرض الحماة، و سهر الليالي، و مرارة الأيام... يصبح أراجوزا؟!!! سارح ببيانولا؟!!! لولا ابنها الوسطاني -من بل ريقها، و فلح- لندمت على إضاعة عمرها على من لا يسوى.

انتقلت العدوى إلى باقي أخوتي... و بمنطق اضرب كي لا تُضرب، عشت أبادر بالهجوم، حتى يعرف الكل حدوده... مالكم؟ كيف تحكمون؟ أنا الأذكى، والأمهر... معايير دنياكم هي من تضعني في مكانة أدنى... فقط.

ضعف موقفي زادني قوة، وعنادا، وتحديا.

"الفن حرام... الواحدة تتباس، وتتحضن و تنام في السراير، وتطلع تقولك: ده فن، وربنا وفقني، وربنا يقويني... الله لا يوفقك إنتي واللي يشبهك قادر يا كريم."

هذه أمي... تتابع برنامجا فنيا، و تعلق على كلام النجمة الفاتنة، وأنا -ومن مثلي- تائه بين فنانين حصروا الفن في التسلية، و الفجاجة، و الترفيه، و المتعة الحسية، و بين أناس لا ينفكون يتابعون ذلك النوع من الفن، و يعيبون أصحابه، و القائمين عليه.

تركت ورائي أمي و أرائها و روحت أسعى .

الوسط الفني في سوريا هرمي الشكل بتراتب يسمح بالعروج إلى سماءه . الهواه لهم المسرح الذي تسيطر عليه الدولة بما في ذلك الفرق الخاصة . الفيديو تسيطر عليه الدولة ايضا ذلك أن التلفزيون الذي ينتج الفيديو مملوك للدولة . الوسط الفني السوري يتماهى مع الوسط الثقافي .. ليس هناك عزله بين فن رسمي و فن غير رسمي . الكل رسمي ، ليس هناك مؤلف أو شاعر محترم من قبل المثقفين و آخر مشهور و شعبي . الشاعر و المؤلف المعترف به عند الدوائر الثقافية هو الموجود رسميا في الصحف و الكتب و التليفزيون .

ثقافة رسمية .. ثقافة منزوعة الدسم لا تتعارض مع الرؤية و الاتجاه العام للدولة . ثقافة لا تخرج عن السياق .. ثقافة تدخن السجائر و تكره إسرائيل ..

أغلقت أمامي أبواب كنت أظنها مشرعة . ليس أمامي غير الصبر .

المجتمع في حالة نمو جزئي في بعض المجالات الفنون الأدائية تتضمنها ، سوريا تسعى للتميز و لا توفر جهد في دعم كل من يحقق هذا التميز . بت أرسل الأمنيات محمله بآمال حالمة إلى القلب لأسري عنه فتعود الأمنيات و قد نفضت عنها أملى و حلمى قبل أن تخطو عتبة القلب . فأغيظها ، أبتسم و أرسها من جديد .

لم اعتاد الجلوس بلا عمل لذا وافقت على الفرصة الوحيدة المتاحة سأرضى بها وأنا اسعى للحلم

مدرس مسرح ، مشرف للنشاط المسرحي ، لما عرضت علي قبلا تعززت و لما قبلت كانت المدرسة القريبة طارت و ظهرت أخرى في ريف دمشق . وافقت . كان على أن أقطع عشرات الكيلو مترات يوميا في الذهاب و العودة و لم تكن تلك هي المشكلة .

المدرسة كبيرة ذات فناء واسع تحيطها تلال خضراء من ثلاث جهات .. تسعد النفس .. تملؤها بهجه و أمل و هواء نقي . في الصباح تبدو التلال صفراء و بنية خضراء القلب ثم تعلو الشمس بالتدريج فاتتغير ألوان التلال على مدار الساعة .. الأخضر الأن في القلب و المقدمة و الأصفر و البني يتحولان إلى فيروزي و أخضر فاتح ، أكثر ما يسعد النفس تتبع حال تلك التلال .. تأملها .

هدوء المكان يزعج الضجيج .. يهينه .. هدوء المكان يوحي بأفكار مجنونه ..

ركل مؤخرة الناظر أو مدرس بعينه و الجري مسرعا بعد ذلك . تقبيل شفاه الأحمر طلائها تقبيلها حتى إزالة ذلك الإحمرار و كأنه ملاط يمسد شفاه بأخرى و يغطي الأسنان . إعمال الإصبع الوسطى في الهواء لأحد المدرسين الريفيين ذا اللهجه الصافيه و الأخلاق الأمنيه . إعمال نفس الإصبع في مؤخرة مدرسة اللغة العربية كانوع من التقدير لتلك الاستدارة المتقنه .

الناظر .. حذرني منه صديقى الذي أتى لي بهذا العمل .، الناظر عين الأمن الساهرة اليقظة

يعتقد حقا في شرف عمله الدنئ و يخلص في سرد التفاصيل في تقاريره فلا يهدر شاردة أو واردة . قصير جدا لدرجة تثير الضحك خاصة إذا مشى مهرولا أو إذا جلس على كرسي مرتفع حين تخاصم قدماه الأرض ، كرشه مدلى أمامه كاهضبه نمت بتجمع كثبان رمليه سيئة السمعه فجاءت غير مستويه ذات تعرجات غير مفهومه ، تبدو عينيه تحت نظارته السميكة كانقتطين على حرف هجاء ردئ الخط ، مولود بطبيعه و خصائص جندول على حافة نهر جف ماؤه لكنه كاجندول لازال يعمل بإخلاص فراح يحمل تراب مطين بين ثناياه و يوزعه على من حوله بدلا عن الماء .

_ أنت تعرف طبعا ما عليك فعله

_ طبعا يا أستاذ

التسكع طيلة النهار بين فناء المدرسة و حجرة المدرسين . تأمل تغيرات التلال و ملئ حصص غاب عنها مدرسوها . و هذا كله لم يكن مشكلة .

و في حجرة المدرسين

_ حقيقي أنك تمثل ؟؟؟؟ لماذا لا تمثل لنا شيئا ؟؟؟؟ هيا .. هيا

_ نعم ؟؟؟

_ آه .. يا ريت

ثم أصوات متعددة من جنبات الحجرة

_ نعم نعم

_ آه يا ريت

_ لنتسلى قليلا

_ آه من فضلك

_ ترى هل يعرف كيف يمثل حقا ؟؟؟

تركت الحجرة و مشيت . جاءوا ورائي ليس لإعتذار و لكن ليرغموني على أن أعود معهم إلى حجرة المدرسين لأمثل لهم " قطعه " و أسليهم

أأحاااااااااااااااااا

لإنني أعرف نفسي جيدا ، أعرف ما يثبتها في أي مكان ، أنثى هي التي تهون على البقاء في هذا العفن . أنثى تعطي لون و رائحه لتلك الإيام الطوال .. تمنحني سبب لمجئ و إستمراري . آت للمدرسة لرؤيتها و أتسكع معها خارج المدرسه أبادلها القبلات في حدائق متطرفه و منتزهات على أطراف المدينه .

في تلك الفترة تعرفت على **عم عابد** من خلال بروفات مسرحية و ساعدني لأعمل في مسلسلات التليفزيون ليس كاممثل بل مساعد مخرج .

عملي كمساعد مخرج يشعرني " بالإهانه "على فترات و بنسب آمنه ، حين لا يستطيع المخرج إخراج غضبه على ممثل أو ممثلة كبار لن يجد خير من مساعد غلبان مبتدأ ينفث فيه .. عليه .. فوقه .. غضبه المستعر .

لا يوجد ما تتعلمه داخل الجامعات يحدد مهامك كمساعد مخرج إذن ليس أمامي وسيلة للتعلم إلا عن طريق التجربه و الخطأ و طريقه أخري تحتاج فيها لغيرك من المساعدين ..

تصادف من يستغلك من قدامى المساعدين .. في حين يورطك آخر في شر أعماله .. يتدلل عليك ثالث .. يخفي معلومه رابع و يغار على المخرج منك كأنه زوجه محبه تخشى الخيانة فتتفرغ لإبعاد ذلك الغريب ..

كنت ألاطف و أهادن و أسمح باستغلالي و أدعي السذاجه و الطيبة .. أنشر معلومة أنني ممثل أعمل حاليا كمساعد مخرج لأبقى قريبا من مهنتي الأصلية حتى أتفادى الغيرة و المنافسه .

حتى جاء يوم موعود حفظته بالساعة و التاريخ .. اليوم الذي وقفت فيه لأول مرة أمام الكاميرا و ليس خلفها . كُسر النحس

.....

ولاء

الإسكندرية صيف 2001

أشاهد قناة الجزيرة... مصرع الفنانة المصرية سعاد حسني
يكمل مذيع النشرة بصوت محايد تماما... في حين تظهر صورة سعاد منبطحة على بلاط الرصيف... لولا شريط أحمر من الدم، يسير ببطء، ساقط من الرصيف مكونا بركة صغيرة تحته، لما صدقت أنها ميتة.
المذيع:- هذا، ويثير خبر انتحار سندريلا الشاشة العربية .....

انتحار... انتحار...
أطلب إليها الرحمة... لا أملك إلا أن أطلب إليها الرحمة، وأنهار باكية، أحد من أهلي، وكانوا معي في البيت، وقد راعهم ما أنا عليه من صراخ، وبكاء، وسب، ونحيب... إلى أن قررت، فنهضت، غسلت وجهي، وبعد أن هدأت... جلست وحيدة في حجرتي أعيد حساباتي من جديد . و لما داهمني النوم كاحيض حلمت لآول مرة بهذا الحلم البغيض . رمال بيضاء .. أحشاء آدميه ملقاه هنا و هناك تصدر عنها روائح ليست طيبه أرض براح ملئ بأشجار اللوز و النخيل القصير .. منطقه خاليه تصلح للقتل و للحب و للصلاة
و الخشوع ايضا .....

.....

ليلى

سوريا

لما كانت أمي تربيني، سمعت كلاما لم أفهمه في حينه، عن أمانة خلقها الله، وخص بها المرأة دون الرجل، وستسأل عنها يوم القيامة... و عن شرف دونه الرقاب، حينها أدركت أن لجسدي

قيمة؛ فواريته؛ لايمكن أن يراه كل من هب ودب... تحشمت، وبدأت الحياة.
كان حصنا رائعا، حماني من الكثير، وسبب لي راحة وهدوء وسلاما مع النفس والخالق؛ فإشارة البدء تأتي دائما من المرأة، أما الرجل، فلديه دائما الرغبة، فإن أبت، لم تتم العملية، وإن وافقت، اختل نظام الدنيا، وكان هو أول من يعاقبها على التفريط -سواء كان أبا أو أخا أو حتى حبيبا- وقليل من نجى؛ فالمرأة العربية التي توافق أن تفعلها خارج إطار الزواج، هي كمن "يترازل على روحه" .. كمن يخلع نعليه، و يمشي في نهار قائظ حافيا في شارع مزدحم.
كان من الممكن ألا أصل لهذه الحقيقة مبكرا، لولا أني اسمع حكايات من صديقاتي... حكايات، وحكايات... فيها ود، وتليفونات، ورسائل، ودباديب، وترغيب، و تودد... أتذكر هنا قول أمي أيضا: إن للرجل شئ بين رجليه، لو خلق له في عقله، لجُن؛ لذا لا يغرنك أبدا حنان الرجل، و اهتمامه إن اهتم.
إذا زلت أرجل الفتاة تخلى عنها، و زهد فيها، وكأن الدنيا -كلها- تعاقبها على هذه السقطة.
ثم يعطى الله -سبحانه الصبور الغفور الرحيم- عونا، وأسبابا للحياة من جديد.
حياة جديدة، وقليلات من يفهمن الدرس، وينتظمن أسوياء من جديد؛ فعلاقات ما قبل الزواج تظل شبحا، يهدد بالظهورمن جديد، حتى ولو في الذهن.
لماذا كن يحكين لي أنا دون غيري؟؟ لماذا لا يسعهن إلا الاطمئنان لي، والفضفضة بما لا يليق؟؟ لا أنكر أني أصبحت أستمتع أيضا، وأتحين الفرص للجلوس في أوقات الراحة، أحضهن على الفضفضة والبوح؛ فأصبحت أمتلك ملكة الاستماع للآخرين، وتعلمت ألا أسدي النصيحة اعتباطا، و -طبعا- أحفظ السر.
تزوجت إحدى بنات خالي، وتخرجت الأخرى في الجامعة، وأنا تنقلت بين أربعة أعمال مختلفة.
لا أنكر الهدوء، وسلامة البال، التي سببها لي خالي صالح الطيب... يعاملني مثل بناته، ويستمع إلي، وينصحني... كم هو هادئ وجميل... لقد أوشك على المجيء، وعلي أن أنهض الآن لإعداد الغذاء.

.....

لإننا منذ أن وعينا نراهم عجائز مسنون لا يستطيعون الأكل إلا بطاقم الأسنان و يخضبون شعورهم البيضاء كأكياس القطن بالحناء .. يخيل إلينا إنهم ولدوا هكذا ، **جدتي** مهندس العلاقات ملقن خبرة دنياها إلي أمي و إلينا صاحبة معادلة قامت على أساسها تربيتنا أنا و أخوتي .. ظلت أمي تطيعها حتى بعد أن ماتت .. ليس عن خوف بل عن إيمان صادق وقر في القلب و صدقته تصرفاتها .

أساس المعادلة إستغلال الهبات الإلهية .. تعصيرها عصرا حتى نحقق الأمنيات و نصل إلى المراد . من قواعد المعادلة ايضا أن " الي ما ينفع يجيله مدفع " الرجل لا يعيبه غير جيبه .. فائدته الربانيه الإيفاء باحتياجات المرأ ة .. عليها أن تعنى بما حاباها الله به من جمال و بروزات أنثويه و تتعلم كيف تتغنج و تتدلل و تتحدث دائما بصوت خفيض كأنه الهمس مما له أعظم الأثر على الرجال الذين هم في حقيقة الأمر احباب الله علينا نربيهم كبار و صغار عليها أن نسعدهم بالأبناء .. جدتي علمت أمي ألا ترضى بالقليل أبدا .. من يرضى بالقليل يعيش لكن أيه عيشه !!

يحكى عن جدتي حكايا أسطوريه عن ذات الغنج و الحمكة و الدلال من أستطاعت أن تنيخ أكبر أشناب البلد إليها في الحلال طبعا ليس هناك خيار إلا الحلال

لابد لمن يزن تلك الحكايات بحياد أن يشك فيها ذلك لإنها تتنافى مع مسيحيه متدينه مثل جدتي تلك الحكاية تتنافى مع هذه الحقيقة التي يعرفها القلة القليلة المقربه من عائلتنا

يحكى أن أجداد جدتي إنحدروا من الشمال من جبال القوقاز هربا من الاضطهاد الديني لطائفتهم راحوا إلى شمال سوريا إلى حلب ثم جاءت **أم** جدتي إلى لبنان مع فيلق عسكري تركي حيث عملت بالتمريض . تزوجت جدتي أول أزواجها و استقرت في بلده قرب طرابلس .. بعد زواجهما بعامين مات ميته قيل إنها لم تكن غريبة حيث إنزلق في يوم مطير من أعلى الجبل .. ورثت عنه تجارة لا بأس بها و تزوجت من آخر عسكري في الدرك التابع لها محلها و تجارتها الموروثه حديثا هذا الدركي هو جدي **جورج طلسوسس** تغاضيا عن إختلاف طائفتهما الدينية .

من الواضح أن تلك الأمور لم تكن لها أهميه مثلما هي اليوم في زمن الطائفيه .. كان جدي مترمل ايضا منذ زمن و له ولدان . الإبن البكر تأثر و تملكته الغيرة على أبيه من تلك الغريبه تسلل إلى غرفة العروس و أتى على جميع ملابسها و ستائرها و حاجياتها و مزقها في غفلة من الجميع ..

تضحك جدتي على تلك الفعلة كلما تذكرتها مع عمي **راغب** الثائر الصغير يحاكيها عمي ما بين شهقة ضحك و أخرى و هي تقول لإبيه :-

_ سيبه .. سيبه يا جورج .. سيبه حاجتك بقى

يحاكي رقتها و نعومتها و لا مبالاتها ، يحلفها في كل مرة تحكي فيها تلك الواقعه

_ هل كنت تريدينه يتركني حقا

إن قالت نعم ..

_ لماذا لم تهزي إيستك إذن و تحولي بيننا

و إن قالت لا .. _ الحقيقة كنت أريده يقتلك

_ آه .. حلال إذن تمزيقى لثيابك التي ستضحكين بها على والدي و تأكلين عقله

و يعلوا ضحكهم من جديد

_ آه .. لقد أكلت علقه ... بالهناء و الشفاء

_ أحسن يستاهل يضحكوا

فر راغب مع من فر وقت الحرب . بحث و لف و ظل يستقصي حتى عثر على خيط يوصل إليهما جاء ورائهما إلى الإسكندرية .. الحرب تستعر بين الطوائف و أنا و أغلب من اعرفهم ينحدروا من عائلات مختلطة .. أي جنون
كانت جدتي من يخطط لأمي حتى توقع إبي في حبائلها .. **محمد حامد الأسواني** .. أبيه **حامد الأسواني** تاجر توابل و دوم و حناء يأتي بهم على مركب في النيل ليبيعهم في الثغر و يعود بأسماك الرنجه و البكالاه و البسطرمه و السجق .. الجد الذي عشق البحر و النيل عاش يستعذب ملوحه البحر و يرتوي عذوبه النيل مات غرقا .. ورث إبنه الأكبر عمي **نور الدين** المركب و التجارة و ترك للباقين ما تيسر من مال أباه و بيتين أحدهما في الإسكندرية و الأخر في أسوان .
تمت القسمه على أربعة للذكر فيهم مثل حظ الأنثيين و لنور الدين وحده حظ الأسد . بيت الإسكندرية كان من نصيب أبي .. تولى نور الدين توزيع كل شئ و أدعى إنه لم يكن جائر يدفع بتهمه لم يلقه بها أحد ظلت معلقه في حناجر الجميع و تطفح بها العيون . قد يفسر البعض أن ما فعله أبي جبن لكن من يعرفه جيدا يدرك بعض الحقائق .. أبى لا يدخل معارك وهميه ليست محسومه لصالحه ستعكر صفو علاقته بأخيه دون أن يخرج منها بحقه المرجو كل همه كان بيت الإسكندرية و بعض المال الذي يؤمن له السفر .. بذلك خرج بالبيت الذي عشقه منذ الصغر منذ أن كان يأتي مع والده يصحبه في التجارة و السفر آثر أبي السلامه سافر ليبيا هناك تنقل بين عدة بلدان و أعمال حتى استقر به المقام في مخبز أفرنجي في بني غازي عاد بعد أن شرب الصنعه بملعقه ليفتح مخبزه الخاص في الإسكندرية كان أول مخبز في المنطقه يصنع الخبز الفينو و الضفيره و الباجيت ..
تعلقت نظرته بها .. هبل إنتاب الحاج محمد حامد الأسوانلي حين رأى بياض أمي الشاهق و ثديها العامر بلا مناسبه . تغاضى عن الأنف و عصايتان رفيعتان تحملان جسدها بتأفف و ضنى ينتهيان بعرقوبان يميزان كاحلها .. لهجتها المميزة أكملت على ما في عقل أبي من وقار ذهب مسرعا إلى أمه و فاتحها في الأمر ..
كانت جدتي آثرت الاستقرار مع إبنها الأصغر و قرة عينها محمد بعد عودته من ليبيا .. طلبت منه أن يرتب لزيارة تلك الفاتنه التي أصابته بالهبل . خرجت جدتي بانطباعات شديدة السوء عن أمي و أمها في حين كان إنتباه أبي للجسد و اللون و اللهجة شد إنتباه جدتي فقرهما الشديد رغم محاولاتهما إظهار عكس ذلك كما كان هناك جدال عنيف بين جدتي و أبي حول لون بشرة أمي في حين يراها هو بيضاء بغير سوء تؤكد جدتي إن هذا صفار بين لا يقبل الشك و أكدت بشديد ثقة أن في إستطاعت عرقوب كاحلها أن يذبح ديك بلدي وافر الصحة . و في كلام الجد أكدت أن أمها حيزبون ماكرة تشبه يهود خيبر من يقترن بأبنتها لابد سيحظى بسمومها . لكن جدتي على ما تملك من داله على أبي كان رأيها أستشاري فقط ..
تزوجا و عاشا جميعا في بيته الذي بناه فوق المخبز . أبي و أمي و أمها و أمه .. الله فيلم الحموات الفاتنات كان يعرض كل ساعة في بيتنا .. تحت ضغط و إلحاح بنى أبي دور آخر

إستقل فيه مع أمي و لم تنتهي المشاكل بل بدأت لتوها كانت جدتي لأمي تشتم جدتي لإبي بالتركي و اللبناني فترد الأخرى برطن نوبي على سوداني حتى وصل الأمر لإشتباك بالأيدي كانت فيه جدتي لإبي الباغيه و المنتصره أما الأخرى كانت تحتاج لعلاج أكثر من ٢١ يوم اضطر أبي إلى ترحيل أمه إلى عمتي **صابره** في أسوان . إنصياع أبي لرغبات أمي /إنفصال في المسكن / ترحيل أمه لم يأتي إلا بعد أن أنجبت أمي الولد أخي عمرو رحمه الله
كان عمري سبع سنوات لما هل **عمرو** على حياتنا احبه أبي و لم يخفي . احتفل بمولده سبع أيام و ليالي ذبح خلالها عجل و خروفين و أطعم ستين مسكينا و كساهم .. و لما مات عمرو إنكفأ أبي على روحه يعض ألمه و لم يخرجه من عزلته إلا النسيان الذي لولاه لمات البشر كمدا لكن إنعزال أبي غير موازين القوي في البيت إلى الأبد ..
أمي تبدلت .. في سنين طفولتي كنت أسمعهما هي و أبي فتسري في جسدي قشعريرة سعادة أشعر بالأمان أشعر أن ما نحن فيه دائم لن يزول .. آن لي و أنا بعد طفلة أن أعرف أن السعادة الزوجية و الاستقرار تبدأ بالتفاهم في الفراش .
لما خرج من عزلته الاختيارية كان العالم تغير من حوله للأبد . أمي أصبحت معلمه صاحبة إدارة . تناقش و تجادل و لن تتخلى عن موقعها و لو مات أبي أمام عينيها . الغريب إنها دائمة الشكوى من هذا الرجل الذي تخلى عنها و تركها في منتصف الطريق دون تمهيد و إنعزل .. أليس من مات ضناها ايضا و أكلت ناره لماذا عليها هي فقط أن تقف على أرجلها و تسند البيت بيد و المخبز بالأخرى بينما تخور قواه و هو الرجل !!
هذا عينه ما جعلها محل إنتقاد و خوف .. و لفت الأنظار إلى طبيعة قلبها الصخرية !!!
الحقيقة أن ما رأته من قبل في أيام الحرب جعلها تعتاد رائحة الموت . قلبها متمرس على الصعاب تعلم أن لو حُملت الدنيا على اجنحة ملاك الموت و حُطت ، الحياة تستمر في ناحية أخرى من الأرض عليك فقط الانتقال إليها .
إكتشفت أمي طبيعتها و نفسها في العمل و الإدارة . لن تتنازل عن ما وجدت من سيطرة و إنشغال .. لن تتنازل عن أموال صارت جميعها ملك لها كيف تترك كل هذا و تعود ليقطرها أبي .
تخلي أمي عن إدارة المخبز أصبح من الأمور غير قابلة للتفاوض . بالنسبة إلى أبي هذا الاستلاب ليس من شروط العقد . بات من المؤكد إنه لن يتنازل هكذا ببساطة عن ماله و عمله و كلمته التي لابد أن تمشي على الرقاب . دارت رحى المكائد تسحق الموده و الذكريات و صار البيت كالجحيم المستعر .
تدخلت جدتي لأمي لصالح أبي بعد أن شمت بأنف عجوز حريق سيأكلهما معا هي و أمي . نار لن تبقى و لا تزر .

أن الولد الذي تمناه أبي ليحمل اسمه و يسند شيبته هو السبب في إنكساره و التعجيل بنهايته .
كان الولد بموته سند لأمي التي وقفت على غسله بأعصاب ثابته و قلب جامد
في حين ملئت جدتي و عمتي صابرة الدنيا منذ أن علمن بالخبر في أسوان إلى الإسكندرية صراخ و عويل و عديد في طقوس إحتفاليه طويله مرهقه . بسلوكهما وضعا أمي في مقارنه لم تكن لصالحها كانا يعيبان قلبها المتحجر .
كانت أمي غريبة فعلا و ردود افعالها تأتي دائما عكس اللحظة . دموعها تنهمر بكثافة حال الفرح و تظل جامدة ثابته في أحلك الأيام أو حال الفقد .
كنت مراهقة يافعة يوم جاء خبر أخي عمرو رحمه الله و انحزت تماما لرأي جدتي و العمه صابره وجدت المنطق في نميمتهما المحمومه عن سلوك أمي و لا تخفيان خشية تعتمل و تنمو عن مصير الأب مع تلك القاسية حجرية القلب كاصخور الصوان .

ماتت جدتي لأمي منذ عامين .. لم يختلف رد فعل أمي .. لم تبكي أو تنتحب .. لم تولول أو تشق الثياب .. وقفت أمي على غسلها كالصقر في سمائه بل و ساعدت المغسلة في حك كعوب الأرجل و تعديل وضعيه جدتي يمينا و يسارا و ذهنها كان صاحي لتعدل على المغسلة في عملها و تأمرها بأعادة التنظيف في عدة مواضع مختلفه و كررت غسل الشعر مرتين و لم تسمح بالثرثرة أو النقاش .

.....

العزيزة ولاء
كيف حالك
أرجو أن تطمئنيني على صحة الوالدة من فضلك يا ولاء دعيني أسمع صوتها
أو ليست مثل أمي أم تراني غريبة ؟؟؟

آه يا ولاء ..

يقال عن إيهاب إنه من الممثلين الذين يذهبون للشخصية، وليس ممن يأتون بالشخصية إليهم... حيث يتبني منطق الشخصية، و يبحث وراء دوافعها، و الحافز وراء افعالها . وبغض النظر عن أنني لا أفهم على وجه الدقه معنى هذا الكلام، إلا أنني أرى الشخصيات التي يجسدها تتلبسه تماما، حتى في البيت... "بسم الله الرحمن الرحيم"... سلوكه يتغير تبعا لكل شخصية... بريق عينيه يختلف، ويتلون بين الطيبة، واللؤم، والخجل.
أما عن الشخصية التي يجسدها، فقد غير "الستايل" تماما... أطال شعره، وجعده... سمح لذقنه بالنمو إلى حد معين... كذلك ملابسه، وتصرفاته... أصبح أكثر ابتذالا... و لا أخفيك... أعجبني هذا الابتذال... في البداية نفرت منه، واستهلك مني أياما حتى اعتدت عليه... لكني حينها عشقته على هذا النحو.
أجمل ما في الوضع، أن التصوير توقف لمدة أسبوع... أقنعته خلالها أن نسافر إلى مكان ناء، شرط أن يكون بالقرب من الشاطئ... وفعلا... سافرنا إلى مطروح.
في هذا الوقت من العام -قبل امتحانات الثانوية العامة- كان شاطئ عجيبة خاليا تقريبا... آه يا ولاء... أيام في الجنة... لدرجة أنه لو قدر لي أن يكون نصيبي من حياة في الدنيا هذا الأسبوع فقط، لاكتفيت. كان إيهاب فيهن ملكي... ملكي مثلما كنت أتمنى دائما... صدقيني... كنت أتمنى إن كان يمتهن أي مهنة أخرى غير تلك التي هو معها لا يستطيع أن يكون ملكا لأحد، و لا حتى لنفسه.
كنا نقضي طوال اليوم على شاطئ البحر... نلعب، و نجري، و نبني قصورا من رمال، و في الليل... و بعد أن ينام الأولاد... نفتح نوافذنا لهواء البحر، و ما يحمله من إلهام، و نقضي الساعات، و نحن نتدلل، و نتلهى، و نحكي، و نشرب عصير الجوافة الممزوج بالحليب، و المحلى بالسكر، مع قليل من دبس الرمان، و زوج الطيب، و المكسرات، ولا تشرق شمسنا حتى نأتي بآخر ما فينا...
و في النهار... حين آراه خارجا من البحر، و معه الأولاد، يخفق قلبي، و ينقبض بألم لذيذ حبا في كل بوصه من جسده.

مرسى مطروح

المخلصه : ليلى

ليلى... ليلى... إيه؟ تمهلي... لا... لا... فأنا أغار.

آه يا ليلى... أتمنى من أسبوعك الميمون نصفه... ثلاث ليال فقط... لا تتعجلي، وتفهميني خطأ... ثلاث ليال مع زوجي أنا... آه... أسمع شهقتك من هنا، و أرى يدك ترتفع، وتستقر على فمك المفتوح ذهولا، أو اندهاشا، أو فرحا... نعم يا ليلى... سأتزوج.
كلاكيت رابع مرة.
نحن في إنتظار تعافي أمي بالكامل و سنتزوج فورا
ربنا يجعلها آخر الأحزان... آه... ادعي لي يا ليلى... ادعوا لي جميعا.
اسمه وليد، ويصغرني بخمس سنوات... لا... سبعة
متيم بي، و أنا أيضا... متيمة... لكن بقلب كسيح أمرضه كثرة الإخفاق.
لا أدري لماذا لا أستطيع الاندماج تماما في هذه العلاقة... أين رومانسيتي القديمة؟
لماذا أتعامل مع العلاقة، وكأنها حسبة.
يا ربي... نفسي تشتهي الاستقرار... يا رب
آه يا ليلى...
قولي يا ليلى... ما اسم الشاطئ الميمون الذي ذهبتما إليه؟
وما تفاصيل قضاء العطلات هناك؟ أفيدونا
ادعي لي يا ليلى... ادعوا لي جميعا... والسلام.

.....

بعد مرور كل تلك السنوات، يخفق قلبي لو حدث، و مرت أمامي من تشبهها، و الأكثر من ذلك عطر الرومبا الشهير يثيرني لو شممته من بعد شارعين، و كأني أرى امرأة مشتهاة عارية تماما.

فأنا -و بعد كل تلك السنوات- لم أتخلص من عفريتها المكلبش في جسدي.

لبنى... امرأة تفكر بأعضائها التناسلية، و عقلها معا، دون تناحر أو تضاد -سبحان الله- مع إنه -و في أغلب الأحيان- عمل أحدهما يعطل الآخر... إما العقل يعمل، أو السيد العضو...

كل ما كان فيها يضج بحب الحياة، و يحرص عليها... تحب الحياة كما تحب نفسها

حُر... حُر... معها كنت حُرا... لم أعلم أني مكبلا، و عبدا لعدة أشياء، إلا حين وطأتها، و عرفت طعم الحرية :-

"معي أنت حُر... افعل ما تريد... قل ما يخطر بذهنك دون خشية أن أغضب، أو أن أسيء الفهم." كانت تعشق البذائة

أطلب ما أشتهي، و هي هينة... لينة... متقدة.

حين هبت نسماتهاعلى حياتي، كنت لم أتجاوز الثالثة و العشرين، و كانت تكبرني بعشر سنوات، كانت متزوجة... أول علاقة كاملة في حياتي... تجاربي الجنسية قبلها تخاطيف. هي المرأة الوحيدة التي أعجبتني، و استطعت أن أمتلك جسدها... الوحيدة التي أحببتها. فلم تتجمع تلك الصدف السعيدة في حياتي قبلا: أن أنام مع امرأة أحبها، و أشتهيها، و -فضلا عن ذلك- أحترمها، و تعجبني طريقتها في التفكير، و إدارتها للأمور، و هي أيضا كانت تبادلني حبا بحب، لكن على طريقتها...

قلبها متمرس على الصعاب، ليس مشكوكا أبدا في إنها تذوقت لوعة الحب يوما؛ فتلقحت بمصل.
أكل على قلبها الزمان، و شرب... في قلبها أيضا آثار لخراء... لا أعلم لمن هو... أهو خراء لرجل عمرها ؟؟؟ رجل في عمق روحها فعل فيها يوما ما تفعله هي في الرجال الآن؟

أحبك... بحرارة، و إحساس آن لي أن أعرف، و كنت من المحدثين أنها كاذبة ؟؟؟؟؟

مرت سنوات، و أنا سأجن... لا أعرف لم تركتني رغم "أحبك أحبك" بكل تلك الحرارة؟؟؟
لم أكن وقتها عرفت أن لسان بنات حواء يلهج بكلمة الحب على السرير، و كأنهن يعطين المبرر لأنفسهن، حتى يقعن في الخطيئة بضمير مطمئن.
بعد مرور كل تلك السنوات، قلبي صار مثل قلبك يا لبني... ملئ بالخراء... قلب تمرس بالشهوات، و لم يعد يتأثر... أدرك أن الحياة تستمر، لم أعد أتأثر بالانفصال؛ فالحياة لاتقف عند إنسان... بقليل من الخنقة، و بعض إحساس بالذنب، و الوحشة... تستمر، ثم يعود القلب إلى سابق عهده.

بعدك يا لبنى، تمرس القلب على اللذة، و أصبح لا تؤثر فيه كلمات الحب... حتى إن كانت صادقة... من كثرة ما حلمت بك تماهى قلبي معك، فصار قاسيا.

لبنى شاعرة مثقفة عقلها يُغريني... هل قابلت من قبل امرأة حين تتحدث بجدية، و تحلل، و تناقش، تصبح أكثر إغراء!!!!

تعلمت منها كيف تُدلل المرأة... كيف تستحوذ عليها بكلامك، و كياستك... حتى إن أتت معك على السرير، تكون مهيئة متقبلة لما ستفعله... لا تكن فظا جلفا -كأغلب الرجال هنا- و لا تهن المرأة؛ هي مثلك تشتهي، فلماذا تحملها هي مسئولية الحفاظ على "الشرف" فيما تفرط أنت فيه ليل نهار، و أين الشرف في إهانة كائن ضعيف كل ذنبه أنه عاشق للجنس... مثلك تماما.

عليك أن تُسعدها، و تكون أنت القائد، فأغلب النساء الأسوياء يحببن أن ينقدن.

لازالت طريقتي الخاصة في الجنس متأثرة بما تعلمت منها... ساهمت في تشكيل وجداني و ذوقي، الذي ارتبط من بعدها بمن تشبهها من النساء.

تعلمت منها أن أبطئ، و لا أهدر طاقتي دفعة واحدة، أن أصرف الذهن لشئ آخر لثوان معدودات؛ حتى يهدأ هياجي، و أطيل بقائي بداخلها أكبر وقت.

لم أكن أدري أنني مسلوب إليها إلى هذا الحد... إلى الآن، كلما مررت بلحظة قاسية، أتذكرها؛ لينعم القلب بنسمات لبنى المرطبة... إلى الآن، تتحرك مشاعري بمجرد تذكر لحظة خاصة من وقتنا المستقطع سويا من العمر، فهل لك أن تصدق!!! علاقتي بامرأة أثرت في كل هذا التأثير استمرت ثلاثة أشهر فقط!!!!

كرهتها حين لفظتني من حياتها بدون أسباب واضحة... كنت غضا لم أزل، و لم أستطع أن أرد الصفعة، و لا حتى أن افهم أسبابها، لكن غريزة الحب عندي من يومها ترتبط بالعذاب حتى تكتمل اللذة... و أصبحت أنا المُعَذِّب.

داومت على الاتصال بها، و حين أيقنت ألا مكان لي في حياتها بعد الآن -و لا أمل- جننت... أصبحت أطاردها في كل مكان تذهب إليه كالمجذوب، فتزيد لوعتي، و جنوني حين تقابلني بفتور، و نكران.

نعتها بأقذع الشتائم، ثم أستجديت عطفها، لكن ما لن أعرفه إلا بعد مرور سنوات، أن لبني امرأة حياتي، التي سأظل أبحث عن مثيلتها، و أحلم بها ...

فتاة انتقالية؟؟ كم فتاة انتقالية أحتاج لنسيانك يا لبني؟؟

في الواقع... احتجت لخمس فتيات، و لسفر، و لمجهود، و إلى حب اعتقدت –مرغما- في صحته، و إلى حب الدنيا، و نفسي، و نشاط، و نوم، و شراب، و لحياة جديدة، و لأحلام مجهدة، و إلى عمل جاد...

لم أستفق إلا، و ناقوس يدق في رأسي آه... السابعة والثلاثون... يدق الناقوس في رأسي... يجب أن تتزوج... وتنجب... .يصبح لك بيت... أسرة... أبناء... إلخ.

لم أكن رافضا للزواج، لكني عاشق للحرية... وأخشى المجهول.
الكل يلح في أمر الزواج، وأكثرهم إلحاحا أمي... أصبح من الضروري أن أتزوج... طيب... من إذن؟؟
لطالما رفضت زميلات المهنة – بيني، وبين نفسي طبعا، ولم أبدها- حدث أن لم يخفها زميل من قبل، وقالها عيانا بيانا جهارا نهارا، إنه يرفض الزواج من أي ممثلة.
قمن عليه "بالشبشب، و السابوه، و الاسبدرين"، ولم يقعدهن إلا اعتذار مغلف بحجج ترضي، ولا تجرح... تخفي أكثر مما تفصح.

تحركت برأسي مشاعر من نوع خاص حين رأيت ليلى لأول مرة... جمالها هادئ، وكذلك صوته،ا و سمتها... قابلتها في مكتبة البلدية... لا... لم تكن تشتري كتابا... بل كانت تبيع الكتب... أعجبني فيها هدوؤها، وبساطتها، وشعور دفين بالدونية، والضآلة، مع طيبة ممزوجة بخجل كدت أنساه من كثرة من قابلت من متبجحات.
هي يتيمة الأب و الأم، وتعيش في بيت غير بيتهما -عند خالها على ما أتذكر- مما ربى لديها شعور بالانكسار... انكسار غريب لم ألحظه من قبل في أي ممن قابلت.
لا أعلم... أيكون ذلك سبب في أنها لفتت نظري من البداية؟؟ لا أعلم.
أيا ما يكون طالما أنها ذات ملامح مقبولة، ومتعلمة، ومن بيت طيب، فلا شئ يعيبها إذن، وسوف أنجح في أن أجعلها تتعلق بي، ومن ثم تحبني.
أصبحت مع مرور الأيام أستأنس بها، كأنها أمي، وشعرت أن فيها طاقة من حنان جارف تغدقها على كل من حولها دون تكلف.
إيه يا ليلى...
لا أنكر أني وقعت في الحب مرات من بعد لبني، حتى آمنت أني لم أحب في حياتي غيرها... أغلب هذه العلاقات لم يسفر عن شئ، كأنها دور في مسرحية أو مسلسل... طبيعي... كنا نظل نردد كلمات الغرام، حتى تعلق بأذهاننا، فنصدقها -خاصة- إذا كنا على استعداد -أنا وهي- لذلك، لكن سرعان ما نستفيق أحدنا، أو كلانا.
ورغم صدق اللحظة التي تسرع فيها ضربات القلب، ويلهج اللسان فيها بكلمات الحب، لم أفكر وقتها بالزواج... أغلب من عرفت من الرجال يفكر في المرأة، والمأذون معا، أو تباعا... أما بالنسبة لي، المرأة التي تملك طموحا -يدفعها دفعا إلى خارج بيتها- متعبة، ولا تصلح للاستقرار؛ حيث يناقض هذا الطموح -الذي يدفعها لخارج منزلها- طبيعتها الأنثوية، ويطغى على دورها الطبيعي في الحياة، كزوجة، وأم... أنا حياتي صاخبة بما يكفي، وأحتاج للراحة، والهدوء، والسكن.
داومت على رؤية ليلى المرة تلو المرة... أنا أجيد فن الكلام، وفن التعامل مع النساء.
ترى كم عمرها؟؟ تبدو في منتصف العشرين، أو تزيد قليلا.
أهم مميزاتها أنها تراني الآن بعد أن صرت نجما في بلادي... لم ترني، وأنا أصعد درجة درجة... آملا تارة، ومتعثرا تارة... لم تشاهدني، وأنا ألهث وراء الفرصة... لم تعاشرني، وأنا، وهي زملاء... ندا لند.
لا أنكر أن هذا كله يعطي تاريخا للعشاق، ويجعل علاقتهما أكثر ثقلا؛ لما تحويه من ذكريات - بخيرها، وشرها- لحظات الانكسار، والمجد... مذاق النجاح بعد المعاناة، والإخفاق، والجهد.
أخذت أتردد على المكتبة كل يومين تقريبا، حتى اطمئننت أنها انجذبت...
استعرضت ثقافتي حتى انبهرت... استخدمت حلو الكلام بصوت خفيض أعرف تأثيره،

فامتثلت... فعّلت جميع أسلحتي، حتى تاهت، وثملت، وعشقت، واعتادت على رؤيتي، حتى جاء يوم وقفت فيه خلف الواجهة الزجاجية أرقبها من بعيد، وحين رأيت عينيها تبحثان عني، مشيت، وغبت يومين آخرين.
أخذتني اللهفة التي استقبلتني بها، ولم تخفها، ففرحت... طرت.
في الحقيقة... لم يكن ينقصني شئ يدفعني لأن اتزوج، لكنني رغبت نفسي في الزواج.
لم أكن أتصور أن أغادر دنياي بلا ذكرى لي على الأرض... كنت معنيا بأن أترك بصمتي على وجه الدنيا بفني، و أولادي... أما ما يخص الاستقرار، والأسرة، والمودة، فلم أشعر بافتقاد أي منهم على الإطلاق، فقد اعتدت أن أحيا حرا وحيدا منذ كنت في السابعة عشر تقريبا... حين غادرت بلدتي الصغيرة التي لا تشغل حيزا حتى على الخريطة، وتوجهت للعاصمة مباشرة؛ لدراسة الفنون الجميلة هناك.
كنت أدرس، وأعمل في نفس الوقت؛ حتى أوفر ضروريات الحياة؛ حيث كان ما يوفره لي والدي لا يكفي لنصف الشهر، ناهيك عن متطلبات الكلية، وهي مكلفة للغاية... وظللت طيلة مدة إقامتي أحمل حقيبتي، وأنتقل من بيت لآخر... اليوم هنا، وغدا... الله أعلم، والمكان لا يعني شيئاً.
لماذا تمر هذه الظروف على إنسان، فتزيده ثقلا، ويمر بها آخر، فتدق عظامه، وتطحنه، وتزيده بلاء.
أطرح هذا السؤال الآن... الآن فقط... بعد أن نجحت - وأنا أفخر بذكرها كلما أتت الفرصة- أن أتغلب على الصعاب... بيد أنها -و لوقت قريب- لم تكن تزيدني إلا شعورا بالنقص والضآلة...
أراها الآن من بعيد، ومن علٍ... بانوراما على حياتي السابقة التي أثقلتني، وعلمتي، وثقفتني... كتبا وناسا.
آه... يا ليلى يا بنت الناس الطيبين. أحبت، وتاهت، وعشقت، و انبهرت، وتخبلت؛ فتزوجنا، وفور أن اطمأننت، ورأيت الدم السائل من بكارتها، وتأكدت أن سذاجتها غير مصطنعة، و أن الوازع الديني قوي عندها، و النفس اللوامة بداخلها تعمل، و بصحة جيدة، و أني أملك عليها جسدها، وقلبها، وعقلها... و أمتلكها هي نفسها في بيتي... خنتها، ونحن في شهر العسل.

.....

ليلى

سوريا

أدركت من البداية آفة الشرقي، التي أعترف أني أحوي جزءا منها بحكم النشأة والتربية... على أي حال... قررت عدم منحه الفرصة، وسأجبره على احترامي للأبد.
لا أنكر إعجابي به حين كنت أشاهده في مسلسلات التليفزيون، لكنني أخفيت انبهاري، ولم أنفعل برؤيته بشكل زائد عن الحد، و اكتفيت بإظهار اللطف، والدماثة، وأنا أرشده إلى الكتب التي سأل عنها... كان هو الآخر لطيفا، ودودا، متواضعا، وخفيف الظل... مر أول لقاء بسلام، ولم أكن أتصور حينها أنه سيكون هناك لقاءات أخرى.
أغفلت الكثير من التفاصيل، وأنا أحكي لابنة خالى أني قابلت الممثل إيهاب رمضان اليوم في المكتبة، رغم أنها كانت منبهرة، متحمسة لمعرفة أدق التفاصيل، وحماسها نابع من عشق للمشاهير بشكل عام... تهتم لأمرهم، وتهتم لمعرفة أدق التفاصيل عن حياتهم... كانت تحترم المرء وتقدره حسب درجة شهرته.
أتخيل إن كانت هي من قابلت إيهاب لاهتمت كثيرا بالتقاط صورة معه، وحرصت على اقتناء "أوتوجراف" –خصيصا- ليكتب لها فيه، ومن ناحيته -وهذا ما عرفته بعدها بسنوات- إن كانت أعجبته، أو حتى استلطفها، لن تأخذ في يديه سوى خمس دقائق، ثم سيصطحبها، ويخرجان سويا.
آه... تتجمل، وتتزين، وتقف أمام المرآة بالساعات، كأنه يأتي للبيت من أجلها هي.
كان يحرجني أسلوبها حين تبالغ في مدحها له، وتقربها منه، وثنائها عليه، وعلى من على شاكلته، وكادت تطلب منه ذات مرة -بل أذكر أنها طلبت بالفعل- رقم تليفون زميل له، لولا أني نهرتها، وهددتها بإبلاغ خالي، بينما كان إيهاب يضحك، ولا يبالي، بل كانت مثارا للسخرية اللذيذة عنده.
تكرر مجيئه للمكتبه بشكل مبالغ فيه، يثير الريبة... تجاهلت تعليقات الزملاء، و رب العمل، الذي يرى مصلحته في تردد أي شخص على مكتبته، فما بالك إن كان هذا الشخص معروفا.
كان يتحدث كثيرا عن نفسه، ويستعرض ثقافته -التي لا تتعدى الكلام بطريقه مقعرة، والتشدق ببعض المصطلحات التي لا تفهم- كان يتحدث باستمرار كأنه من ملاك الحقيقة المطلقة.
لا أنكر أني لم أقرأ في حياتي بنهم، واهتمام إلا روايات عبير، لكن عملي في المكتبة جعلني -رغما عني- أعرف كل الكتب في مختلف المجالات، حتى إن كانت المعرفة هنا لا تتعدي معرفة البائع في الصيدلية لأسماء العقاقير، ومعرفة بعض استخدماتها.
عرفتني أيضا أشكالا وألوانا من الناس، وأصبحت أدرك إن كان من أمامي مثقف حقيقي، أم أن الثقافة عنده مجرد تكملة للشكل الاجتماعي.
ورغم ذلك، وجدتني يوما بعد يوم أحبه... عشقته... ذبت فيه كما تذوب قطع السكر في الشاي على مهل.
فقد ظهر في وقت كنت اتطلع فيه للحب، وأحتاج إليه، وعندي طاقة منه، لا أعرف كيف أفرغها، ولا أين... وما جعلني ذبت حتى الثمالة: سؤاله عن بيتنا، ولما عرف أني يتيمة، و أني أعيش عند خالي، طلب مني تحديد موعد له معه؛ ليشرب معه القهوة، ثم اقترب مني أكثر، وقال شبه هامس... ومن يعلم؟ جائز نشرب الشربات.
وأتى بالفعل، وتمت الخطبة.
آه ... خالي أتى لتوه من عمله... علي أن أحايله حتى يوافق أن نخرج –أنا، وإيهاب- سويا اليوم.

لا أدري لماذا لم يرتح إليه يوما؟ قال لى -يوم أتى إلينا؛ ليخطبني- إن إيهاب مزاجه عصبي سوداوي، محب لنفسه، وإنه يحوي الكثير من التناقضات.
خالي صالح مهتم بعلم الفراسة -كاهتمامه بسائر العلوم التي تميز فيها العرب كالشعر، والخط، والفلك، والرياضيات- فهو مولع بالعهد الخالي، والزمن البائد... متعصب للقومية التي اندثرت مع اندثار أصحابها... شديد الثقة أننا عائدون لا محالة... دائم الترديد أن الحرب العالمية القادمة لا وجود لأمريكا فيها، فهي بين الصين والشرق الاوسط... الله أعلم... لم تخب نظرة خالي يوما فيما يخص الناس، أما فيما يخص الأحداث، فعلمها عند الله...لا اعتقد أنه يتحدث عن المستقبل القريب بأي حال .
لا أدري؟ إن كان رأيه غير إيجابي في إيهاب، لماذا وافق على الارتباط به؟ هل -لأني أحبه- لم يرد أن يكسر خاطري؟ يمكن... ليس خالي ممن يحكمون العواطف في القرارات المصيرية، سألته يوما لماذا وافق على الخطبة إذن؟ قال إن ايهاب -ورغم مزاجه العصبي، وغير ذلك- يحوي أصالة دفينة... مستمدة من شيم، وكرم الجدود، وإنه سيحميك، ويحافظ على عرضك، ويتكفلك؛ فهو رجل يريد بيتا هادئا كالذي تربى فيه، وهو كفيل بسد احتياجات هذا البيت... وأكثر.
سارت الأيام على وتيرة واحدة... لا ينغصها شئ... حتى جاء صباح يوم مشرق من شتاء 2006، وجدت نفسي فيه متزوجة من إيهاب رمضان... أنا... ليلى... بنت الفقير إلى الله كنعان الصيرفي، وكان حينها ممثل معروف في الشام، والخليج، ولم يكن على سعة من مال كما ترينه اليوم.

.....

ولاء

لم أدرك كم أنا وحيدة، وبحاجة إلى رجل في حياتي، إلا عند معرفتي بخبر زواج إيهاب من ليلى الصيرفي.

"يا سلام ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ و حياة أمك ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟"

كنت كمن ضرب على رأسه للتو، أو كالذي يتخبطه الشيطان من المس... يا الله... ماذا كنت أريد؟ ولما أبكي الآن؟ ألم يكن هذا متوقعا؟ كان سيحدث عاجلا أم آجلا... ألم نكن مجرد أصدقاء؟
هل كنا فعلا كذلك، أم أني حرصت على ذلك حتى أبقى مطمئنة، هادئة البال؟ حتى هذه الكلمة لم يعد لها معنى الآن...
وعلى إثر انفعال شديد، وبمشاعرمريضة... تزوجت، وطلقت في أقل من عام.

.....

الطريق من بيتي إلى بيته تأخذ نصف ساعة بالمواصلات، لكني فضلت المشي.
عابد... عم عابد... حين تراه -على ضخامة جثته- يعتريك إحساس أنك في حضرة طفل عملاق... مُبهج.
إن سمعت مرارا عن النفس، و التصالح معها، و لم تفهم هذا الهراء، تعالَ؛ لترى عابد، و سترى بعينك كيف هي النفس اللينة الطيعة المتصالحة مع صاحبها.
في حياتي لم أره حاقدا أو حاسدا أو كارها للخير لأي من كان... حين يضحك، تضيق عيناه، و يحمر وجهه بمرح طفولي، ترتفع يده اليمنى، تمسح أرنبة أنفه بحركة لا إرادية، و يهتز كرشه باطراد مستمر، و يرفع رجليه عاليا، و يحركهما عدة مرات في الهواء... أشعر حينها أن عابد يضحك بكل جسده، يستخسر أن يترك خلية في جسمه بلا مرح.
عمنا عابد لا يفوت الفرض، و مع ذلك لا يرى الفن حراما، و لا ينظر للآخرين من علٍ؛ لإنه يصلى الفجر حاضرا، في حين يغطون هم في نوم عميق... فقط، يدعو لهم بالهداية؛ ليذوقوا حلاوة ما ذاق... هو يرى –ببساطة- أن الدين المعاملة، و الإسلام حب...
وصلت في ساعتين...
بيت عم عابد يشبهه... أعلم أن هذا البيت هو مايملكه من قرش الصبا، هو لا يختلف عن نمط البيوت السورية، لكن الألوان، وإعادة ترتيب الأشياء، والذكاء في استغلال المساحة هو ما يجعله مختلفا، و الأهم الطاقة الإيجابية التي تصدرها الحيطان، حيث تشع بالبهجة، و الحب، مما يجعلك تحب الذهاب إليه، حتى إذا وصلت لا تريد أن تمشي منه... الباب الخارجي من الخشب... ضخم، و ملئ بالرسومات... مطرقة حديدية على هيئة طائر النسر... يمسك حجرا معلقا بسلبة... السلبة مشبوكة في سقف الباب المطهم بالحديد في منتصفه، و جانبيه؛ لتدعيمه، و مصباح خارجي يشبه الفانوس متدلٍ منه أيضا، و مضاء دائما... ثم المدخل الواسع، و فسقية المياه في منتصفه... الزرع في "قصاري" تحيط سور البيت كله... على امتداده، و دكتين خشبيتين على يمين باب المدخل، و حين تتجاوز وسعاية الفسقية، يقابلك السلم... عدة درجات ليس أكثر، تفضي إلى البهو الداخلي، ثم الحجرات، ثم إلى اليمين -بجانب المطبخ- سلم آخر يؤدي إلى الدورين العلويين.
حين وصلت إلى البيت، فتح لي **عمر** -حفيده الأكبر- يشبه جده في الكثير، بيد أن روحه ليست بخفة روح عابد... قابلته، و هو في حديقة المنزل بجانب الزيتونة، و هو يحمل **إباء** -حفيدته الصغرى- قبلها من خدها، و طلب من عمرو أن يحملها للداخل... لاعبتها بافتعال واضح – فقط- لمجاملته بتلك اللغة، التي أرى البنات يستخدمْنها، و لا يفهمها إلا الأطفال.
كنت وقتها -و قبل أن أجرب إحساس الأبوة- لا تحادثني عن الأطفال الصغار.

إنسان جميل، و فنان متميز متمكن من أداواته... كان عابد.

"يا غالي، الحياة قناعات، و أنا مُقتنع بما أنا فيه... لما كنت في مثل عمرك، لم أكن أمتلك طموحك، و لم تكن عندي رفاهية الحُلم من الأساس، حتى أني كنت أخشى الغربة، و أعلم أنني لن أستطيع العيش خارج سوريا... حتى أنني "عتلت هم" قيادة السيارة في مصر، وشعرت أنها مشكلة... تخيل؟؟؟؟"

لا أكذبك، كنت أنظر إلى رغدة، وأحسدها على جرأتها، وأمي تقول لي: "شوف يا خايب، أهي مَرَة، وعارفة سكتها." أما أنا... لا أريد أكثر مما لدي.

"إن كان فيك تحقق مشروعك هنا، فلما تجازف... تعكر صفو حياتك، وإنسانيتك تهدرها، وأنت تصارع... جيفا يجري ورائها كلاب... أنت لست صغيرا، ولا ما إنك فاهم؟ أنت تعرف مدى قذارة الصراع هناك حيث الموج العالي... إنت بتشوفنا هنا يا بني راح نقطع بعض على شو؟ على ملاليم... فما بالك هناك؟ و مع ذلك... العمل هنا يشبه السباحة في بحر ميت... بلا أمواج... أما هناك، فعليك أن تتعلم كيف تلعب بالبيضة و الحجر -مثل ما يقولون- و تلعب بالناس، و تحيك المؤامرات قبل أن تتعلم المهنة نفسها.
واحدة... واحدة تأخدك، و الحلم يسحبك... ستعتاد، و ترتب حياتك على الدخل الكبير، وستستمرئ الشهرة، وحب الناس، وسترتعب حين تبدأ تلك الأضواء -كعادة أي شئ- بالانحسار والخفوت، وحينها سيجعلك حرصك على إرضاء الناس إنسانا آخر... وحلمك بدل أن يوصلك، حاتصير إنت بتشتغل عند الحلم، و ما حـ تفيق إلا، وأنت خلاص... متورط..."

ثم جلست للعشاء معه و أسرته مائدته الوثيره و هو على رأسها تذكرني بجدي رحمه الله أبنائه من حوله و زوجته بجانبه و هو جد أصلع أشيب الشعر حيث ما تبقى من ذكرى بعيده لشعر كان ناعم و غزير . جد حنون سعيد ملئ ما فيه و هو يجلس حفيدته الصغرى على رجله و يطعم الأخر في فمه تلك هي الحياة التي أختارها عم عابد و آطمئن لها أدرك من البداية قدراته الإنسانية و علم قدر نفسه فلم يسمح لأحلامه أن تشطح إلى البعيد حتى لا يتعذب .. عرف أين و متى يجد السعادة حيث الراتب الشهري الثابت و الحياه الأكثر جمودا من آثار الفراعين . حياة تجري على وتيرة واحدة لا يعكرها شئ . أعرف عنه بعض العادات منها الجمود و الثبات حتى أن مشيته و نبرة صوته هادئة رتيبة .. يشعر بقلق شديد إذا تغير شئ من مكانه و يظل متوتر حتى يعيده إلى سابق صورته . في حجرته ممنوع دخول الأطفال حتى يظل كل شئ كما تركه تمام الراديو العتيق و المسبحة المعلقة على المرآة و كتبه بجانب الطاولة على كرسي صغير . حتى أبنائه أسكنهم معه و أورثم داء السكون في المحل بكى كالطفل حين سافر أصغرهم للعمل في الخارج و من فرط قلقه عليه لم يعد يذكره !!! حيث أن ذكراه تثري قلة الحيلة و الخوف والقلق تلك المشاعر التي طالما تعذب منها فهجرها .
خرجت من عنده و أنا مُصر أكثر من ذي قبل على أحلامي . حلمي ليس حلمه . الحياة قناعات كما أسلف و أنا قناعاتي تختلف عنه و طموحي يشدني بعيدا .

.....

إيهاب ينتمي إلى جيل محظوظ... أكثر حظا ممن سبقوه -و من اللاحقين أيضا.

في زمن من سبقوه، كانت مصر هي هوليود الشرق، و من لم يأتِ إلى مصر لن يحقق تاريخا. إنتاج تلك البلاد كان ضعيفا، و فقيرا، و جمهوره قاصر على بلد المنشأ فقط، وبعض المهتمين من بلدان الجوار، وهو أشبه بجمهور الشعر حاليا: مميز، و مخلص، و قليل العدد.

أما في زمانه، و جيله... الوضع غير... صعدوا... جمهورهم ظل مميزا مخلصا... تميز، و إخلاص كل مثقفي الوطن العربي، كما انضم إليهم كثيرون من التائهين، ممن كانوا يقبلون ما يقدم لهم كسلعة ثقافية مجانية... بيد أن الباحثين عن التميز زادوا، و كثر عددهم .

أما هم –كفنانين- أخذتهم العزة بالإثم، و صدقوا أن مصر راحت، وراح زمنها، حتى أن إحداهن تلوم على إيهاب موقفه من العودة إلى مصر :-

لو عدت -أنت، و من مثلك- ستجعلون مصر تقف ثانية، و تنافسنا بعد ما حققنا.

أنتم بفعلتكم هذه تدنون شأننا من جديد، و تساهمون في رجوعنا إلى المربع الأول... "خلاص... صار فيك تحقق كل ما تريد هنا"... أتريد أن تذهب إلى مصر، و تساهم في إفساد الذوق العام للمواطن العربي، كما يفعل المصريون؟؟؟؟

إن المصرين كأمريكا... سينما أوروبا هي الأكثر عمقا، و فنا، و غوصا في النفس البشرية، و مع ذلك، يمتلك الأمريكان ناصية الإنتاج، فيعرفون كيف يبهرون الناس، أما المضمون "انسى"... إلا القليل.

ثم حين "ينفض" لها... تقود حربا كلامية، و سياحا غبيا... صحافة... ندوات... مقاهٍ

إيهاب يذهب إلى مصر... لم؟؟؟ بعد أن تحققنا هنا، و لاحاجة لنا لمصر، و ثقل ظل المصرين!!! و ضحالتهم!!! يرجع نجومنا، الذين صنعناهم بأيدينا؛ ليدعموا الفن المصري بعد أن عفن؟؟؟ ماذا تفعل يا إيهاب هناك عند هؤلاء؟ غير المغفور لهم إفساد وجدان الشعب العربي بأسره، على مدى عقود، بما قدموه من "فن"... صوتهم عالٍ هؤلاء المصريون... صوتهم عالٍ، و فقط... أبواق تعرف كيف تمتع، ولا توصل مضمونا... نحن الأصل في الثقافة، و اللغة، و الفن، و هم مجرد أراجوزات تجيد التسويق!!!

ماذا بك يا امرأة ؟؟؟ "شادة حيلك علينا كده ليه؟؟؟؟"

لكن... من أين لي أن أعرف تلك النميمة -التي دارت على بعد آلاف الأميال- بين إيهاب، و ممثلة سورية... ... ذلك أني أنتمي إلى جيل رأي الكراهية وجها لوجه دون مواره في عصر أصبح المصريون آله منقرضه إقترب منها الناس فاختبروا ضعفها و هشاشتها فراحوا يحطمونها .. بأحقاد سنين .. لسان حلهم ينطق بما حملته القلوب _ آه لو كنا نعرف الحقيقة لما لبثنا في العذاب المقيم . يكملوا التكسير

الإسكندرية هي العاصمة الثقافية لمصر... بلد للفنانين... يحكمها الأذكياء .. حلم يربطني و يداعبني منذ سنوات و سنوات

ألا تستحقين يا سكندريتي، يا حبيبتي ... التأثير على ثقافة جنوب المتوسط بأسره.

مع ذلك .. أتخيل -إن عشت، و كان لي عمر، ورأيت الزمن الذي تسيطر فيه الإسكندرية، و مفكريها، و فنانيها على الفنون الأدائية في مصر جميعا -من سينما، و فيديو، و غيرهما- ثم بعدها يفكر الرعيل الأول لهذه النهضة -من مخرجين، و كتاب، و ممثلين- العودة للعمل في القاهرة!!!- أني -و بعد أن أشخر شخرة إسكندراني كبيرة، ترج أرجاء المعمورة- سأقف أمامهم -أنا الفقيرة إلى الله- و سأقول لهم :- أغلب ما قالت السورية سالفة الذكر.

ما علينا...

ساهمت التكنولوجيا –كثيرا- في توصيل سلعتهم الثقافية المشتهاة –تلك- إلى زبونها: الفضائيات بمختلف أشكالها قضت على هيمنة أي أحد على "أيُّها" شئ.

أما الجيل الذي تلاه، فلم ينعم "بوش القفص"، و حلاوة "أول قطفة"، و الانبهار الذي نعم به أسلافه -إيهاب، و غيره- كما إن استثمارات الخليج اتجهت لإنتاج مسلسلات خليجية، و ازدهر الإعلام، و كثرت القنوات الإخبارية، حيث انشغل الشرق الأوسط بما هو أهم و أخطر.

.....

العزيزة ولاء
كيف حالك ؟؟؟
أكتبي لي يا ولاء
أنا وحيدة .. أشعر بوحده شديدة .. و قلق و عثر هضم . أتوق بشدة لمعرفة من يكون؟ آراه وسط الناس، أو في لقاء تلفزيوني، فأكاد لا أعرفه... بدءا من شكله - بعد أن تهيأ، ووضع المساحيق- إلى طريقة كلامه، ونبرة صوته.
يبدو طيبا... تلقائيا... حساسا... مهذبا... بريئا... رقيقا... جذابا... مثقفا... من هذا الذي أعاشره أذن؟
ذلك الجلف، المغرور، العصبي، متقلب المزاج .
كنت أتخيل في السابق أن النجمات فقط هن من تتغير سحنتهن بهذه الصورة.
قلت لي يا ولاء -غير مرة- إن أحد أزواجك -الرابع على ما أعتقد، و كنت الزوجة الثانية له- حين وجدأنك تشبهين تلك التي عنده بالأساس في المنزل... طلقك.
من الواضح أنه كان يظن -وبعض الظن أثم- أنه سيجد صوره من تلك "الشقفة / المزة"، التي يراها في التليفزيون... مسكين.
أنا أيضا مسكينة... طلبت منه ذات مرة... آه... نعم... آتتني الجرأة، وطلبت منه أن يرتدي قميصا مفتوحا إلى السرة -كما يفعل في الصور- ويحلق ذقنه لدرجة معينة، ويصفف شعره تاركا شعرتين بالعدد لتنسابا على إحدى عينيه، وأن يضع المساحيق... أراحني في النهاية حين كفت ثورته-كاد أن يبطحني، واتهمني بالخبل- ثم يبدو أنني "صعبت عليه" أخذني تحت جناحه في لحظة رومانسية -قلما تتكرر هذه الأيام- وقال إن التشوش الذهني الذي أعانيه بسبب أنني

أحبه.
آه... من يسمعه منذ دقيقة واحدة، وهو يرغي، ويزبد بانفعال محموم، لا يراه حين أخذني تحت جناحه، وتحدث بصوت خفيض... كأنه الهمس، فلديه القدرة على الانتقال من النقيض للنقيض في نفس اللحظة تقريبا -كنت سأجن في البداية من هذا الأسلوب، ثم اعتدت عليه- صدقت على كلامه "وعديت الليلة" بيد أنني –بيني، وبين نفسي- أتسأل: لماذا يتزين بهذه الصورة في الصور، واللقاءات، ومعي أنا دائم الإهمال، والعبوس؟

.....

ولاء

حين وجدنا أن الحديث في التليفون طاقة تضيع هدرا، ولما كان الشات -وما شابه- لا يناسبنا كثيرا... قررنا أن نتراسل؛ فالورق أمضى أثرا، و أبقى... لم أكن أتصور أني سأرزق في منتصف العمر بأخت جميلة، وعاقلة، وبها حنان يكفي من في الأرض جميعا، اسمها ليلى كنعان الصيرفي... لكن ما جعل صداقتنا تستمر كل تلك السنوات -أنا و ليلى- أنها غير سعيدة... أشعر أنها تعيسة، ومغلوبة على أمرها... لا أكرهها أبدا، والله إني أحبها حقا... لكني أعلم شيئا... أعلمه كأني أراه... إذا كانت سعيدة، وهانئة البال كنت سأفر منها... كنت سأبتعد عنها؛ لأن مجرد رؤيتها كان سيسبب لي الألم... حتما كنت سأبكي... سأبكي دما أنها تملك حياة أفضل... أعزي نفسي أن استمراري في أي زواج كان سيجعل مني نسخة... نسخة كربون من ليلى الصيرفي... أحتضنها... أشفق عليها، واحنو... تخاصمنا شهرين عندما تخيلت -مجرد خيال- أنها سعيدة، و إيهاب يزيد من سعادتها تلك، و يقدرها... تخيلت أنها متصالحة مع نفسها، ومتأقلمة... ياه... أأنا شريرة إلى هذا الحد؟

.....

_ ٢ _

تضرب كأي حيوان .. ضرب مبرح .. عنيف .. ترك آثار على جسمها
و آثار أخرى لن يعالجها الزمان ..

.....

ليلى

أذكر من تلك الأيام البعيدة طريق مثمر تنمو شجيرات السرو على جانبية و ينضح الليلك ببهاء على طول الطريق . رحت بصحبة جدي للعيادة الصحية المحلية أعاني من إلتهاب في الأذن .. طوال الطريق جدي يشير و يؤكد معالم الطريق .. هنا مدرسة أمي .. أمامها ببضعة أمتار بيت عمتي فلانه .. إلى الأمام على الجانب الآخر بيت جدي لإبي و هكذا
كنت طفلة لم تتجاوز عامها السابع ما فهمه عقلي أن جدي يؤكد معالم الطريق كي أعود وحدي رسمت معالمه في مخي كاصور شمسية و رجعت البيت .. ..
لم أعلمه ، فظل يبحث عني في كل مكان و يسأل المارين حتى إذا يأس إتصل بأمي صرخت كيف اضعت إبنتي .. حين أغلقت السماعة كنت أنا عند الباب سعيدة بإنجازي .. ضربني كل من كان في البيت " عدا جدتي " رحمها الله ...
أيام أخر بعيدة أذكر منها فرحتى التي عدت بها ، فرحه بنجاح أخي في الشهادة العامة كنت أجري بإخلاص .. أعدو عدوا لأبلغ أمي ، كأني أنا من نجح .. كأنهم سيكافؤنني
ضربت على وجهي .. على فمي .. على حمق فرحي .. ترنحت و سقطت فازداد الضرب . نظرت فوجدت أن أخي يضربني معها ...
لماذا ؟؟؟ لأن فرحتي أذاعت الخبر على طول الطريق مما سيعرض أخي حتما للحسد .
خوف أمي و أسلافها من الحسد خوف هستيري .. لكن لم يقنع عقلي أني أستحق كل هذا الضرب ، و لم أستطع الربط بين ضربي و بين منع الحسد عن أخي ... أبدا لم أسامحها .. لم أسامحهم . أبدا
تكررت حوادث مشابهه على مراحل عمري باختلافها و اختلاف طولي و عرضي و نضجي لا يشفع لي أني صرت آنسه لم يمنع عني الضرب و الركل و الزجر لإتفه الأسباب
إعتقدت أمي و أبي و أخي و أسلاف أسلافي أن كسر ضلع للبنت سينبت لها أربع و عشرين كأنها نبته تقصها فتنمو كأنها عشب الأرض كلما ضغط عليه عاد سيرته الأولى
أي كانت دوافع أمي و أبي و أخي لم أسامحهم ... أبدا

.....

_ ٣ _

لذا / الخطابات بالنسبة إلى ليلى علاج بالكتابة . هذا ما دفعها إلى مجارات ولاء .. خطابات ولاء نزوة فنان .. أما ليلى .. وجدت أخيرا طريقة تعبر بها عن مشاعرها دون أن يعاقبها أحد مشاعرها التي ظلت تنمو للداخل . الكبت و الزجرعلماها كتمان المشاعر .. ربى لديها خوف أصيل من العنف حتى إن جاء مصحوبا بلذه .... لذته التي نمت بالعنف .

سواء المعهد العالي للفنون المسرحية، أو الأقسام المتخصصة، كلاهما واحد -ليس أي منهما- يُخرج حمار بذيلين، الكل ذا ذيل واحد... و مع ذلك "شايل سنه قوي المعهد، و خريجي المعهد على الباقين" رغم أنه لا فارق بين خريج درس الفنون المسرحية في المعهد، و نظير له درس في قسم متخصص؛ فالمرض واحد و المصحف.

و في السوق نعمل مع الصنفين، و شايفين، و تعالوا نحكي الحكاية من البداية... واحدة واحدة...

من دخل إلى المعهد، أو قسم المسرح، و هو ميح سيخرج منهما -يا مولاي كما خلقتني- ميح، و لكن بشهادة... و من دخل المعهد، أو قسم المسرح، و هو واع بآليات السوق، و موهوب سيخرج -هذا إن لم يستبقه المعهد بالطرد- وهو واع بآليات السوق، و عارف من أين يأتي بذيل الذئب... ممكن أن تجعلك الدراسة مُطلع قارئ، إن كنت تملك الاستعداد لعادة القراءة في الأساس... "شبه مثقف يعني"، و على "حس" أنك تدرس في المعهد، و لوجودك في أكاديمية الفنون بالجيزة، تستطيع التنطيط يمينا، و يسارا، فتتشاف هنا، و هناك... ممكن...

لكن هل ما تدرسه يحقق لك فارقا على المستوى المهني!!!! أشك

- وجود مدربون لايعرفون -هم أنفسهم- كيف يمثلون، و أغلبهم ممثلون فاشلون، و فاقد الشئ...
- غياب التحديث عن مناهج عفى عليها الزمان -قسطنطين إستانسلافسكي نفسه نسي إنه عمل كتاب لإعداد الممثل-

ثم قناعات غرائبية متسلطة على القلوب، و العقول، و مع مرور الزمن تم التعامل معها كـ**الدين**، مما يحول دون التفكير النقدي لها -أستغفر الله العظيم- و منها:-

_ الإيمان الشديد بالوراثه و العناصر الوراثية التي تؤثر في تكوين الممثل -المصري فقط دونا عن ممثلي العالم أجمع، و الدليل على ذلك: ابن أل باتشينو ليس ممثلا-

_ أن التمثيل ليس موهبة، التمثيل استعداد، و أن أيا من كان يستطيع أن يمثل، طالما لديه هذا الاستعداد.... طيب طالما إنه أي من كان يستطيع أن يمثل "فالقينَّا ليه بقى" بمعاهد متخصصة؟؟؟؟

و طالما هناك شرط امتلاك الاستعداد هذا فما تعريف الموهبه إذن ؟؟؟؟ إذن هناك شئ "أهه" يجب أن يملكه الإنسان -اسمه استعداد بقى، اسمه حمو- هو شئ يجب امتلاكه، و "خلاص"... "مش" اعتباط كده يعني.

_ عليك أن تتعلم هنا المبادئ، و الأساس: واحد زائد واحد يساوي اثنان، و إن حدث، و موهوب -لا قدر الله، و استغفر الله العظيم، و اللهم احفظنا- تطاول، و حسبها ثلاثة، يُرهب، و يُجلد، و يسقط...

منذ عصر إرسال البعثات إلى الاتحاد السوفيتي، إلى عصر الإحياء و البعث في أوائل التسعينات بإرسال بعثات إلى إيطاليا، و المعهد و الأقسام المتخصصة مسكونة بروح شريرة طاردة للمواهب مستقطبة للمدعين -إلا قليلا- أي موهوب حقيقي: إما لم يقبل من بابه، أو طريد للمعهد بسبب الغياب المتكرر .

إيهاب يهاتفني من حين إلى حين، أهنئه على مسلسله التاريخي، الذي حقق دويا، و أغتاظ بيني و بين نفسي .
يفاجئني السيد النقيب -كما هو دائما- بأن الحل في مشكلة تدني مستوى الأعمال المصرية هو منع الفنانين العرب من القدوم لمصر نهائيا!!

لماذا نتهاتف أنا، وهو إلى الآن؟ يقولون: "البعيد عن العين"... آه، يا إيهاب.
تأخذني مكالمتك من عالمي امرأة ناضجة، وترجعها مراهقة، يدق قلبها، وتفرح فرح المجنون عند سماع صوتك... يا الله... إلى متى نمتثل إلى الصداقة، ونستتر بثوبها الفضفاض... آه... و إن كانت هذه هي مشاعري، فهل أستطيع أن أجزم أنها مشاعره أيضا؟ أم ماذا؟

مهرجان الإذاعة والتليفزيون .. القاهرة .. صيف 2006
بدون أن أنتظر دعوة إيهاب للحضور؛ لأن له عملا تاريخيا ضخما مشارك في المهرجان، كنت سأحضر، وأقف كما أنا واقفة الآن في صالة المسرح المكشوف بدار الأوبرا المصرية، أنتظر إعلان الجوائز، ذلك -ببساطة- لأن لدي عمل مشارك أيضا في المهرجان... للحق، شتان ما بين العملين، فقد بدأنا في مصر نعمل بـ"الفورتي" يعني بأربعين في المائة من المجهود المطلوب، و بالمحسوبية، والكوسة، وبابن من... وبدأوا هم يعملون بجد، وبإنتاج ضخم، بمزانية عنوا فيها كثيرا بجماليات الصورة، وغضوا الطرف عن الإيقاع.
وانبهرنا، وجرت أحاديث كثيرة حينذاك عن سجادة تسحب، ومجد يضيع، وباغ تدور عليه الدوائر...
وفاز إيهاب -كما كان متوقعا- عن دوره في المسلسل بجائزة التمثيل، ومر العمل الذي شاركت فيه مرور... لا... ليس الكرام... ومع هذا، تاق إيهاب -ومن معه- لفرصة هنا -وهنا فقط- القاهرة... قاهرة الأحلام... أيام المعز ولت... وللأبد.

واثق الخطوة يمشي ملكا... أو ساحرا... أو شيطانا...
لا أدري كيف آتته الجرأة أن يسألني إن كنت أغار منه؛ لحصوله على الجائزة... أنا؟
ابن المَرَة ...
كيف أصبح عدوانيا هكذا؟ لقد ألفته شديد الدماثة، على خلق، يراعي شعور الآخرين.
ترى هل أفلتت مني -رغما عني- أى بادرة سوء تخالف ما أبديته من فرحي به، وبنجاحه، وبعمله، و بـ"اللي جايبين أبو أهله"... فور أن رأيته بعد استلامه للجائزة، وتبادلنا التهاني، والأحضان، والقبلات -الأخوية طبعا "In public without feelings"- أو هكذا أدعي .
أعطاني الكاميرا الديجيتال "تبعه"، وطلب مني أن ألتقط لهم صورة -له، ومخرج العمل، و اثنين من الممثلين- وما إن قلت: "Say cheese"، والتقطت الصورة، حتى جلسنا سويا -أنا، وهو- على انفراد... آه... أخيرا... رغم الصخب، والزحام... أنا، وهو... بعد مرور ست سنوات، أنظر في عينيه، فيجذبني نفس السحر القديم... آه... الذكاء، والغموض.
وما أن تتم التعويذة، وقبل أن نبدأ التعزيم، يأتي الصحفي، وكاتب الدراما الشهير -حديثا... بعد أن ولى زمن الجودة، وأصبح البقاء للأقذر- سحبه من يده، و أنا أبارك سعيهما بابتسامة –

اجتهدت حتى تبدو سليمة- ويد تلوح وداعا بغيظ بدا تشنجا من سرعتها غير المبررة، وتوقفها المفاجئ، حالما استدار؛ ليمشي مع **محمود مختار**.
اقتحمنا -رغم جلستنا التي بدت خاصة بعض الشئ- سأل في استحياء –أحرجني، وأصابني بالاشمئزاز- إن كان هذا هو **إيهاب رمضان** القائم بدور "ما بعرف شو" في المسلسل العظيم المفتخر -المغفور له بأذن الله- كذا؟
نظر إليه إيهاب نظرة طالت، وقام ببطء، ونسي للحظات أني كنت بجانبه -و كانت أيدينا ستتشابك- قائلا: نعم.
وما إن قالها، حتى جلس معنا **مختار** مكملا المديح، والثناء، والفخر بالمسلسل، ومن عمل به معبراعن انبهاره الشنيع، ثم زاد الطين بله بمبالغته أيضا، لكن هذه المرة في ذم الدراما المصرية، والفنانين المصرين، ومصر، التي فقدت أعز ما تملك.
وعندها لم أملك نفسي، وقفت غاضبة، وللحظة فكرت أن أقلب المنضدة الجالس عليها، وألعن "سنسفيل" أبيه.
لكن العقل يتدخل أحيانا، ويفسد هذه الأشياء، وتذكرت أن أباه متوفٍ على أي حال.
و بدلا من ذلك جلست، و أخذت أفند له كلامه جملة، وتفصيلا بدءاً من مدحه الذميم لهم، وصولا للأسباب الحقيقية وراء ما وصلنا إليه نحن... أيكون ذلك هو ما جعل إيهاب -فيما بعد- يسألني ببجاحة إن كنت أغار منه، ومن جائزته التي حصل عليها -هنا- في بلدي؟؟

.....

ألحت في طلب اللقاء فاتفقنا أن نتقابل في بيت عم عابد حتى يكون شاهد على ما سيحدث جاءت متحفذه و حاولت أن اتحلى بالصبر إلى أن بدأت معزوفتها المعروفه هذه الأيام عن مصر و المصرين و لماذا يا إيهاب تذهب إلى هناك و تشارك في أعمال قليلة القيمة
أتى عم عابد بصنية الشاى بنفسه مع بعض الفاكه المجففه ، قمت آخذها عنه وضعتها أمامنا .
كنا نجلس على الدكتين المتاخمتين إلى سور المنزل شمس العصاري ترسل إضاءة مبهجه تزيد النفس إشراق و يهب النسيم محملا بروائح عطريه حميمه زرعها عم عابد بنفسه الطيبة

_ ما نحن فيه طفره و ليس أساس

نظرت إليه مستفهمه فأكمل :-

_ المصريون ليسوا بالسطحيه و الخواء الذي ترددينه باستمرار كأنه حقائق دينيه لا تقبل الشك أو التأويل
قد يتسم المصريون فعلا ببعض مما قلت لكن يتسمون ايضا بالصراحة عند الخطر . الكذب يملئ قلوب و عقول عندهم كما هو عندنا و كانه نظام حياة ، لكن هناك فارق / إنهم عند الخطر يتصارحوا ،هذا ما يجعل تصرفاتهم في الأزمات و الحروب تدهش العالم ، تدهشهم هم شخصيا يتصارحوا فيعطوا الأمر حجمه الحقيقي مهما كان كارثيا مما يخول لهم التصرف بهمه و ذكاء يناسب الحدث . الصراحه تجعلهم يضعون أيديهم على أسباب الخلل و من ثم علاجه ، سيقفوا من جديد .. و إنتاج الخليج سيذهب حينئذ ليشارك الناجحين . و من نستند عليهم الأن قد تدفعهم توازنات سياسية للعب مع غيرنا . ملئ ما تركته مصر من فراغ لا يعطي لما نصنعه صفة الدوام يسمه بصفة البديل المؤقت إلى أن تأتي فرجه نور من هنا أو من هناك ، ما نحن فيه ليس هو الأساس بل هو الاستثناء ، إذن الممثل أو المخرج الشاطر يستغل تلك الفسحة من نجاح حققناه هنا و شديد إنبهار صبغناه هناك و يرحل و معه حقيبة مستثمر .

_ إنتشار الفضائيات جعل .....

قاطعها

_ رغم إنتشار الفضائيات النجم لا يسطع و يفج نوره في سماء الله الواسعه إلا إذا نجح في مصر
_ هذا ليس صحيح
_ إنظري إلى مهرجانات الخليج و إنظري كيف يعامل نجم متحقق و ناجح في مصر و كيف يتم التعامل مع نجم ناجح و متحقق في الشام فقط أو تونس فقط .

تنظر إليه بغيظ فيكمل قائلا :-

_ سعر النجم و حجمه يختلف في بلده نفسها بعد نجاحه في مصر أليس كذلك !!
_ أصبحت تتحدث و كأنك سلعه

تغاضى عن إستفزازها و كتم غيظه على مضض

_ نحن نعمل هنا و ننجح هنا عودتك أنت و من مثلك إلى مصر هي من ستقوي عودها من جديد

_ هذا غير صحيح .. الاستمرار يتم فقط في البلد الذي يحوي الصناعة ، هل نملك صناعة السينما هنا ؟؟؟؟ طبعا لا . نحن نعمل هنا و ننجح هنا نعم . لكن ليس لدينا صناعة سينما و لا مقومات تضمن إستمرارية صناعة الدراما .

إلتفتت فجأة إلى عم عابد كأنها إنتبهت لوجوده الأن فقط

_ ما بك يا عم عابد ؟؟ أراض أنت عن ما يقول ؟؟

إبتسم عابد و قال :-

_ لما وافقت إن تتقابلوا عندي جاء ذلك لفض أي إشتباك محتمل لا سمح الله ، أما عن رأي فإيهاب يعرفه جيدا .. أنا يا بنتي حلمي غير حلمه و جيلي غير جيله قلت له قبلا أن أعمل هنا و سيرى الجميع عملك .. أمه لا إله إلا الله و قد حدث . أليس كذلك يا إيهاب ؟؟

_ نعم ، صحيح

يعتدل عابد في جلسته و يناولهما الشاي ، يرشف بهدوء ينظر إليها ثم إلي إيهاب

_ إن كان لابد من سفرك فاعلم إنك أساس ..

ينظر إليهما ثم يردف قائلا :-

_ أساس ، سيبني عليه الكثير من بني وطنك حلمهم وواقعهم ، إذن سمعتك الطيبة ، حسن صيتك ، لن يأتي عليك وحدك بالنفع ، بل سيأتي بالنفع على زملائك جميعا . يا ولدي ....

يضع أمامه كوب الشاي ثم يكمل قائلا :-

_ يميل المصريون إلى التعميم لذا سيقال أن كل السورين بل كل عرب المشرق يتمتعون بأخلاق كريمه و ليسوا جوعى في ما يخص الاستحقاقات المالية و يتمتعون بإلتزام فضلا عن إنهم عناصر فنية جيدة بتلك السمعه الطيبة تعمل و يعملون .

يبتسم إيهاب إبتسامة أمل .. رضا .. إعجاب .. لم يعرف قبلا هذا الجانب في عم عابد يااااااه عم عابد الطيب المسالم صاحب الإحلام منخفضة التكلفة ،طوال الوقت كان عملي إلى هذا الحد عميق يا عمنا عابد أعمق مما طالت منك يدي من قبل .

_ حاضر ، أعدك

يضع كوب الشاي يقف

_ أرى الأن أن الظروف تغيرت ليس لدي ما أقنعكما به لإنه مجرد إحساس الشاطر هو من ينفذ إلى مصر بما حققه هنا لأن سجادتهم ردت إليهم .

.....

_ ٤ _

رمال بيضاء .. أحشاء آدميه ملقاه هنا و هناك تصدر عنها روائح ليست طيبه أرض براح ملئ بأشجار اللوز و النخيل القصير .. منطقه خاليه ، تصلح للقتل و للحب و للصلاة و الخشوع ايضا

البحر كالحصير يتهادى في نعومه موحيه بالعشق وقت الغسق صوت داخلي يحرض روحها على البقاء للأبد .. يأتي الليل فجأة دون ترتيب منطقي . تشرق شمس وسط سماء سوداء . نار كبيرة مضطرمه وسط البحر تقترب . خوف يملئ نفسها تضطرب من سطوته أحشائها .. تضطرب الأحشاء الأدميه و تتراقص على الرمال .. المكان أصبح بارد .. الرمال البيضاء تحولت إلى ثلوج بيضاء .. النار تقترب من الشاطئ على سفينه ورقيه .. الخوف يزداد .. البرودة تزداد .. صوت داخلي يقول بنبرة واثقة .. النار هي الحل .. النار هي الحل تقترب و تقترب . السفينة .. ولاء ..

النار الأن وسط البحر .. السماء سوداء .. الشمس ساطعه

.....

مستقر الآن في القاهرة... بعد ثلاثة أفلام غير جماهيرية، وثلاث مسلسلات لم يعرض منهم إلا واحد لازلت في مرحلة الانتشار السلمي.
فالانتشار في مصر -وكما جاء في الجبرتي- يتم على مرحلتين:-

انتشار داخل الوسط نفسه، وفيه يعنى المرء بأن يعرفه زملائه في المهنة، والمخرجين، بالإضافة إلى الصحفيين، و الأهم المنتجين... ثم تأتي فرصة في عمل "يتشاف"؛ فيعرفك العامة، والخاصة، والبقال الموجود تحت البيت.

في رأيي هناك مرحلة ثالثة -لم يأتِ ذكرها في الجبرتي، ولا في غيره- وهي المرحلة الأهم... التحدي الحقيقي بالنسبة إلى جيلنا ليس في الشهرة، أو القمة، و لكن في الحفاظ عليها؛ فأسماء النجوم مثل الأسهم في البورصة... طالع نازل... مع فارق: أن سهم البورصة إذا هبط ممكن أن يصعد مجددا، لكن نحن لا... الوقوع بالفورة.
لذا، التحدي الحقيقي -في نظرى- سره الانتقاء للأفضل، ذلك لمن يريد أن يستمر، و أن يصنع تاريخا.
فكم جاؤوا من قبلي، وأثاروا ضجة، وكانوا موهوبين حقا، ثم ماذا؟ أين هم الآن؟
المصريون لايقبلون وافد... تلك أمانيهم، أما الحقيقة... لا.
أعترف أن بعضهم فعلا متعصب، و ابن ميتين كلب، يتعامل معك كأنك جئت؛ لتخطف ما يلتقمه فمه، و آخر ذا وجهين... موظف، و ليس فنانا يتعامل بأسافين خلقت لأمثاله، لكن للأمانة... أغلبهم ناس طيبون، وجدت منهم كل الدعم، والتقدير.
وها قد جاء لي عمل سيكفل لى بعض الانتشار.

في أول لقاء بمكتب الإنتاج، بريق عينيها يلوح برغبة مغلفة بمذلة... حين اقتربت؛ لأسلم عليها أمسكت براحة يدي بكلتا يديها، و اعتصرته،ا ثم قللت من حدة قبضتها، و حين هممت بسحب يدي اعتصرتها من جديد... كل ذلك، و عينيها في عيني... كأنها تضاجعني... أشعر بها تتربص لحظة... لحظة أكون فيها ثملا؛ فأضمها بقوة، و شهوة، وعنف... مشاعر خالية من الحب الذي أعرفه، ولكن لم على أن أفعل؟ وقد وصلت لقمة النشوة، والزهو بنفسي من نظرتها المتذللة... هذه النظرات الجريئة -التي لن أفكر أنا الرجل أن أنظرها إلى امرأة –إلا، و أنا ضامن رضاها، و موافقتها أولا- و عصرة يدي في يدها -التي يفعلها الذكور بالأساس- قال لي رجل عجوز- ذات يوم شتائي معتدل- إن شهوة المرأة ضعف شهوة الرجل، لكن يتمنعن، و هن الراغبات...
أعتقد أنه ليس هناك من شهو أكثر من الأخرى، غاية ما هنالك أن المرأة التي تعاني داء حب الرجال أكثر جرأة حين تشتهي، أما الرجل، فيقدم خطوة، و يرجع خطوتين خوفا من الصد المفاجئ، أما جرأتهن حين يرغبن في الرجال، فهي من جعلت هذا العجوز -و غيره- يعتقدون ذلك، و يسوقون هذا الاعتقاد كحقائق يمتلكها العجائز فقط.

لم أكن قابلتها من قبل في حياتي، وأعلم أنها تكبرني بأكثر من خمس عشرة سنة، لكنها غندورة، تحافظ بكل ما أوتيت من قوة، ومال على سحرها القديم... ذلك السحر البائن حين كنت أشاهد أفلامها، و أنا مراهق.
على أي حال لم يكن عملي في المسلسل ثمنا لما تريد، وهذا ما أردته، وهذا ما يهمني.
آه... لكم قالت لي ولاء إني معجب بنفسي... تقريبا لم أحب غيرها، ومن شدة إعجابي... أنتشي

لمجرد وجودهن من حولي... متذللات... طائعات... يملأن المكان بحيوية، أعرف أن وجودي هو السبب فيها... المهم... تظل خيوط اللعبة في يدي بحبال متينة من الصداقة، التي تضمن بقائهن، ولا تكلفني شيئا، ولا حتى الوعود.

.....

_ ٥ _

كخفاش وحيد و كريه ممزق النفس خائف إنقلبت حياتها و دورة نومها .. إرتدت جناح الليل الأسود و خضبت أطراف النهار بحناء بيضاء باردة كالثلج خطت كالشيب هلال يزين غرة رأس اليوم . هي وحيدة و مريضه مع طفلين .. وحيدة .. مهمله كالغة مات أصحابها فعافها الناس .. جاءت بنت الخال الأصغر و الأكثر مرحا لتعودها .. عادت و أخبرت صالح . لم ينتظر الصباح شعوره بالمسئوليه أحرق دبره كمقلاه ساخنه . فنهض إليها و عاد بها مع أطفالها إلى أحضانه و بيته و رعايته . كأن وطأها لبيت أرتاحت فيه يوما مس روحها بعصا سحرية .. نفضت عنها المرض و عادت كاعصفورة تشق خطوط لون النهار و تدثر بجناح الليل تصنع منه دفء و حلم .
تغلبت على خجل ظل يقيدها بحبال من الحياء و الصبر .. خوف من شماتة النساء . بمساعدة الخال صالح فكت الحبال عقدة عقدة و عادت للعمل في المكتبة . إحتمت بنظارة شمسية رخيصه من الأعين الفضوليه و ردت على الأسئلة باقتضاب .. خيوط دقيقه من نور تضئ و تنطفئ خطوط اخرى تنضج بوهج غير مرئ لكن محسوس كلما أتي من إيهاب خبر . المال الذي يرسله قليل هي في حاجة للعمل و للثقه . حديث خالها صالح باستمرار يذكرها بحديث أم حنون تخشى جنوح إبنتها و شططها .. الخال صالح يخشى البيوت الخربه المسكونه بالغربان و الخفافيش
فيغذيها بالحب و بالصبر

.....

علاقتي بها كانت كالحلم المؤجل .. علاقة بحاجة إلى قوة دافعة تسير الأشياء فتجهز علينا تجعلها تسير بقوة التدافع كاعجلة حربية سقطت من أعلى قمة منحدر .

يوم ربيعي موحي بالأثام ..كل ما فيه يذكر بالجنس و يحرض عليه .. تراهق الأرض به و تحبل الأزهار . كنا أنا و هي كامجانين قرروا أن يسرقوا النار من رحم الثلج .حياة باردة . في حديقة منزلها كانت واقفة على سلم صغير ترتدي سروال قصير جدا و قميص قطني أبيض يناسب تمام زرقة السروال الكريم في كشفه كارمال بيضاء تحد شاطئ متشح بزرقه سماءه . بياض فخذيها مع تناسقهما يمتعان العين . مشدودان و ناعمان كأنهما من خامة مختلفة .. جسمها مزيج بين القطيفه و الرخام .. إستجابت إلى نزوة دفعتها إلى تشذيب الأشجار و قطف ثمار لم تنضج بعد .

بين خصاص الفل و النرجس و الأضاليا و أشجار الكافور تمثل سياج أمني للحديقة تحول دون متطفلي البشر و الزواحف .

_ إيمان

صحت فبغتت و كادت تتعثر في نزولها ، هرولت لمنع سقوطها المحتوم احتضنت ظهرها اللدن بمزيج من الشهامه و الطمع .

لم تكن ترتدي حمالة صدر هذا ما أحبه كدت أقوم بحملات لتحرير الصدر من حمالاته " الحرية لإثداء النساء " " أتركوا الثدي حر" مثلما خلق . يرتج وقت ما حلى له الارتجاج و يرتجف . شعرها ناعم و طويل و موحي .. مثير .. رائحة الكستناء تفوح منه ليست مجرد لون يميزه .. شعرها حنون كاصفصافه .. ترفع رأسها فتطاير خصلاته حرة ، أسمع صوت صهيله .

كانت تعلم إنه سيأتي .. أعدت العدة . نزعت شعر جسدها " بالحلاوة " ليس بالماكينة كما إعتادت ، الحلاوة تمنح الجسد النعومه و اللمعه .. تحمل لذغات الحلاوة و ألمها المتتالي نوع من التضحية لإرضاء الحبيب . فكرة إنها تتهيأ له تزيد إثارتي !!! .. لم أشعر بالغيرة بل بالإثارة .. تتزين لممارسة مع رجل إشتقت أنا إلى معرفة رائحته منذ زمن .. هذا الاشتياق لم يحده زمن أو زواج متكرر .. لا يوجد للذكور رائحة واحدة . كانت مستعدة تماما حين أتي .. و كنت أنا كذلك مستعده . لما سقطت في أحضانه ضمها بقوة لم أعرفها من قبل فايقنت أن ليلتنا مفترجه .

كانت في الحديقة تتلهى بتنسيق أشجار لا أعرف كنها نصحتها أن تضع سماعتين في أذنها تبثان أغاني محرضه تمنحها دفعة نشاط و تساعد على تمرير الوقت .
كنت متوترة ..

الحب عنده غريزة و عندها إشتهاء محفوف بالمخاطر . عمل تجريدي غامض نعود به لأصل الأشياء .
رشف شفتها السفلى و استطعمت مرارة لسانه . لعقت أيامه تاريخه هموم كبلته و قلق حميم خاض في العلاقة بسرعة غير معتادة كأنه يتورط فيها و لم يهتما لوجودهما في حديقة منزل

بل على العكس دفعهما توقع أن هناك من يراهما إلى الإتيان بأفضل ما يعرفان .
وقت الغسق .. رائحة الأضاليا و الريحان . ياسمينا تأتي ريحها محملة بمزيد من الحماس للعاشقين .
نهداها يرتجفان .. يهتزان باطراد إثر طعناته المتتاليه .. صوت آهات **إيمان** ذا خصائص مميزة . لا يشبه مواء لبنى و لا الثغاء الذي تصدره زوجته . هو دلال .. تتأوه لتتدلل وحسب .. تعرف أن آهاتها تزيد هياجه فتتفنن في لحنها من أجله .. ثدياها أيضا في توترهما يزيدان هياجه كثيرا فيبقى عينيه تتابعان تخبطهما و يزيد قوة الطعن حتى يتحركان باطراد أكبر .

كنت ابحث عن أنثى تحررني
الإثارة صارت معانيها ملتبسه لدي

حلمتا صدرها .. وله بالأثداء جعله يولي إهتمام خاص بالحلمات .. لديه قاموس بصري لأشكال الحلمات على إختلافها .. يداعبها و يكرر تحرضه على البوح فيزداد حماسه و تكراره

كنت هناك أراقب كاشاهد يضفي على تجسسه الخسيس قدسية فيبدو حارس للعاشقان اكتفى بالمراقبه لم أسجل تلك اللحظات و لم أستغلها فيما بعد إستمتع بالمشاهد الحيه لهذان الساخنان بفحيح و دخان .. يصدر عن جسدهما لذه و نور .. رقصه مميزة لعشق مؤجل ..
إيمان رجب صديقتي الصدوق تحمل نفس الطين ، كلاهما من طين واحد حط على شكلين مختلفين . يالا العشق العربي .. العشق الكربلائي ينزف شهد و يتحلى بالدماء .. عشق أبدا لا يكتمل يعيش بالفقد .. بالألم .. يعيش يحمل إثم الزكريات و عدم الاكتمال .. عشق كربلائي .. يحيا بإحساس الذنب .. و يؤثر الندم على إستمرار الوصال . عشق يحمل لعنه أبديه تنذر بالعقاب .

_ ٦ _

بعد أن أكل و تجشئ و تسلى و أطعم حماره أرسل في طلب زوجته .. من يسم النساء بالجنون هنا ؟؟؟
ظلت تتخبط بحواس من البلاستيك المطاط .. دارت حول نفسها مرتين و في الثالثة اكتشفت إختفائه . تحاول الاتصال .. لا يرد
احبطت محاولات يائسة لخبط رأسها في الحائط كى تدميها يراودني شعور بالذنب كأني حرضتها على فعل ما فعلت كي أستمتع أنا بأداء لم يكن لي يوم لكن اهدئ إلحاح ضميري أن ما حدث كان سيحدث كما إنها ليست طفلة تمص إبهامها حتى أتمكن أنا من اللعب بعقلها
لكن يبقى أنه
فعل ما فعل معها .. بها .. حتى إن انتهى إنقلب على عقبيه كاكلب وفي يلهث وراء صاحبه
أرسل في طلب ليلى لتقيم معه في القاهرة .
حاولت الاتصال مرة أخرى يأتيها الرد جرس طويل ..
سبته و لعنته هو أباءه و نامت و حلمت إنها قتلته إستيقظت يداهمها صداع و قئ
أجرت إختبار حمل .. الحمل يعطيها قوة و تصاعد دراماتيكي يناسب غضب أشعل روحها تأتي النتيجة سلبيه .
تسبه و تلعنه هو و أجداده و أسلافه للمرة المائة و الأربعون
و كازائر الفجر المميز المرهوب ، قررت أن تزورهما في بيتهما .. خرجت أكثر إرهاق من عامود إنارة ، وحيدة و مختنقه كاذبابه في حجرة معقمه .

إيمان نمر منذ كانت تنبئ عني عز الدين شكري و أنا احمل لها ضغينة مستترة تحت صداقة لم يغيرها زمن . تزوجت لاعب كرة إفريقى نصف مشور يلعب في فريق شركة البترول شرى تلك الفيلا في إحدى المدن الجديدة تقول و_ بعض قولها يأخذ على محمل الكذب _ أن تلك الفيلا مهرها . ممثلة متوسطة الموهبة لكنها تكثر من العطاء .. جسدها مثير ، ترتدي دائما ما يجعله أكثر إثارة . الكشف و الإيضاح في رأيها ذكاة عنها و عن صحتها . لا أنكر شماتتي فأنا لم أنسى أني أستأمنتها قبلا على سر أذاعته و في إذاعتها له آذتني و آذت سمعتي لسنوات . ها أنا و أنت يا **ليلى** يضعنا القدر في سلة واحدة تحمل عنوان الخيانة بدم بارد . حملني الفضول لرؤيتها فذهبت .

.....

ليلى... الاسم الذي لا يفنى، ولا يستحدث من عدم.
حين رأيتها لأول مرة آمنت أني كنت محقه في نظرتي إليه دوما.
هي جميلة لا أستطيع إنكار ذلك... حين تراها تشعر... آه... أنك تأكل قطعة جاتوه من "الفخم"... هذا الكبير، المليء بالكريمة اللباني المعتبرة، وكافة أنواع المكسرات التي خلقها ربنا، لكن ليس عليها، ولا قطعة كيوي توحد ربها، ولا قطعة صغيرة من حبة كرز.
أصاب بالغثيان بمجرد النظر اليها.
محجبة حتى في بيتها -على ما أظن- تقليدية... تصلح تماما ظلا له -كما أراد دائما- ست بيت من الطراز الأول... متوسطة الذكاء.
أهم من كل شئ: تشعر نحوه أنه سيدها، وتاج رأسها، وأعتقد أن هذا الشعور يريح أي رجل نفسيا. يا الله... أكتب بانفعال، وحقد.
طلقت للمرة الثانية.
طغى هذا السرد المتكرر على نومها فحرمها هداءة الرقاد .. رمال بيضاء .. أحشاء آدميه ملقاه هنا و هناك تصدر عنها روائح ليست طيبه أرض براح ملئ بأشجار اللوز و النخيل القصير .. منطقه خاليه ، تصلح للقتل و للحب و للصلاة و الخشوع ايضا
البحر كالحصير يتهادى في نعومه موحيه بالعشق وقت الغسق صوت داخلي يحرض روحها على البقاء للأبد .. يأتي الليل فجأة دون ترتيب منطقي . تشرق شمس وسط سماء سوداء . نار كبيرة مضطرمه وسط البحر تقترب . خوف يملئ نفسها تضطرب من سطوته أحشائها .. تضطرب الأحشاء الأدميه و تتراقص على الرمال .. المكان أصبح بارد .. الرمال البيضاء تحولت إلى ثلوج بيضاء .. النار تقترب من الشاطئ على سفينه ورقيه .. الخوف يزداد .. البرودة تزداد .. صوت داخلي يقول بنبرة واثقة .. النار هي الحل .. تقترب و تقترب . السفينة .. ولاء .. النار جميعا وسط البحر .. السماء سوداء .. الشمس ساطعه تنصهر كاشمعه مسلوبه لا تملك خيار .. تنصهر .. تنصهر .. الشمس تقترب تقترب .. يحال قرصها الشهير إلى وجه ، يضحك ... يقهقه . يتردد صدى ضحكاته و يعود آلاف الضحكات . في كل مرة يتغير الوجه . . وجه رئيس القسم .. وجه الأخ عمرو رحمه الله ... وجه عز الدين شكري .. وجه عميد الكليه .. وجه الزوج الثاني ... وجه إيهاب .... وجه طفل رضيع ..

الضحكات ترج فضاء واسع فتهتز السماء السوداء ..

لا تزال تنصهر فلا يبقى منها إلا :-

فستان .... شعر ... حذاء ذا كعوب عاليه .... خوف

.....

ليلى

كيف، ومتى توطدت صداقتي بولاء ؟
لا أذكر على وجه الدقة... هي سنون طويلة على أي حال.
كنت أتحسس خطواتي الأولى في القاهرة، واقترب عيد ميلاده... لا أدري ما الذي جعلني أطلب منها حين اتصلت على تليفون المنزل؛ لتهنئه بهذه المناسبة ان تدلني على مكان أشتري منه هدية تناسبه...
خرجنا معا... ولم نفترق بعدها أبدا.
عرفت فيها إنسانة ذات معدن طاهر... حمدا لله أن إيهاب لم يلحظ هذا الكنز، وإلا ما كنت لأحظى به أبدا.
ولاء أحبت زوجي يوما، ومع ذلك، لم تجد غضاضة في البحث معي عن هدية أقدمها له...
وللحق -وبعد ما تزوج- بالغت في الحرص في علاقتها معه، لا تصدر منها نظرة، أو ضحكة، أو لمسة لها معنى يلمح للقديم.
تدريجيا -ودون أن ندري- انتقل هذا الحب من شخص إيهاب لشخصي.
أحترمها، وأقدر فيها حسها المرهف، وخفة ظلها، وعشقها للنكتة الذكية، وحبها للحياة.
هذا، وأول لقاء بيننا، في أول شقة إيجار جديد سكنتها بمصر حين تزوجت حديثا، لم يسفر إلا عن مشاعر متناقضة، متضاربة، عدائية بعض الشئ... ماذا أقول؟
"ما محبة إلا بعد عداوة"

.....

إحساسي أنها تعتمد عليّ في كل شئ... معرفتي أنها ليس لها غيري... يعطيني شعور بلذة غريبة تدعم شعوري كرجل... كما أنه -على نحو خفي- يغريني بها فأميل إلى إذلالها... حتى إذا ما وصلت للمدى، رفعت قبضتي عنها، و ضممتها بين ذراعي بقوة، وأنا أحنو عليها بملئ ما فيّ، فإذا ما رأيت دموعها، وشعرت بها تدس رأسها في حضني أكثر... أشعر بلذة تشبه الارتواء.
أفعل ذلك على فترات، حتى شعرت خفية أنها أصبحت تتلذذ -هي أيضا- بالشعور بالخوف والاحتياج والذل.
آه... أحسدها على ما تحويه من قدرة على التأقلم، والتكيف، والعيش تحت أي من الظروف... لدرجة أني سألتها مرة عن السر، فأجابت –ببساطة-: الرضا.
الرضا... آه... تلك الكلمة ذات الثلاثة أحرف، التي ابتعدت عني حتى أصبحت مبهمة
الرضا... .يرضى... أرضى... أرضى بما ليس بد منه... الرضا بالمكتوب.
تذكرني تلك العبارات بعم عابد، و لازلت أراها عبارات تثبط الهمة، وتحض على الركون، والخضوع، وعدم التطلع للأفضل.. أعمل ليل نهار للمجد... وللأبناء.
براءة، وسلام، وطهر. أبنائي ليسوا جزءا مني... أبنائي هم أنا، لكن بصور، وظروف مختلفة... ظروف أتفنن في جعلها الأفضل... حتى منذ أن اخترت لهم أما مثل ليلى... ويكفي أنهم المخلوق الوحيد على الأرض الذي أضحي بنفسي، وراحتي من أجله
ابنتي صورة مني... طبق الأصل -أخشى أن ينمو لها شاربا- أول أنثى أراها تنمو أمام عيني... أرى ذلك الكائن -الذي طالما أثار اهتمامي، وفضولي- كيف يمر بمراحله على مهل، ومهما رأيت... يظل عالمها مبهم، وغريب، ومشوق... أخشى عليها أن ترث طبيعتي المتمردة، و نفسي العنيدة؛ كي لا يسعى أحدهم لكسر أنفها، فهذه الطبيعة تناسب الرجل أكثر في مجتمعاتنا.
أحب أسرارهم الصغيرة، التي يبالغون في إخفائها عني، ويأتمنون عليها أمهم فقط... يأمنون جانبها -لا أعلم لم؟- مع أنها تضربهم أكثر بكثير مما أفعل أنا!!!
أقضي معظم أوقاتي في البيت معهم... مع ابنتي الكبرى بالذات... وبغض النظر عن أنها تحكي لي كل ما يحدث في البيت بكل تفاصيله –بالأداء، والمؤثرات الصوتية إن لزم الأمر- فهي أيضا تحضني على الحكي، فأحكي لها كل ما يضايقني، ويقلقني، وأخفيه -حتى- عن أقرب الناس... تستمع، وكأنها شخص ناضج، متقد الذكاء والاحساس... آه، لو سمعتني ليلى، لقالت: "ما تمرعهاش علينا"
تعزو مدحي لابنتي -دائما- على أنه جزء من مدحي لنفسي، وهي لا تطيق العيش مع اثنين يحملان نفس الروح في بيت واحد، و أضبطها أحيانا، و هي تحاول كسر شوكة البنت من الصغر... تخشى من هذه البنت بالذات... تخشى من روحها المتمردة... وأنا أصادقها، وأقترب منها لأسباب مختلفة -تماما- عما تظنه ليلى، أو ما تعتقده ابنتي نفسها، فأنا أتقرب منها، وأصادقها؛ لينمو وازع من نوع خاص بداخلها... صداقتي بها هي الوازع الذي سيمنعها من الخطايا... ستخشى من غضبي... ستخشى على موقعها في قلبي... ستخشى على اسمي الذي تحمله... ستخشى أن أغضب عليها... ستخشى أن تنزل من نظري... ستشفق على شيخوختي... يا الله... كيف أفكر في كل هذا، وهي بعد طفلة؟

لكل منا نصيب من زمنه... وأنا أعيش في زمان القابض على دينه فيه كالقابض على جمر من النار... آه... لو أي ممن عرفت سمعت هذا الكلام، ترى.. ماذا كانت ستقول؟
ما لك أنت، والقابض على الدين؟ الحقيقة... أني أتمزق ..
كنت أصلي يوما... صحيح بشكل متقطع، لكني أذكر أني عرفت الصلاة يوما... مارستها...

تذوقتها... نعمت بما تمنحه من سلام وطهارة وسكينة... تلذذت بالكلام مع الخالق، والتباسط معه –سبحانه- في السؤال.
حفظت يس... ياه... كم قرأتها، وتمنيت ، وحققت الأماني -حتى- وإن كانت تافهة -حتى- وإن كانت آنية.
ختمت القرأن -غير مرة- كل رمضان... لم أفوت واحدا.
كنت أستذكر، و أستمع "الشهد، والدموع" من غرفتي في آخر الدار... و بين المواد الدراسية، أفتح القرأن؛ لأقرأ حزبا، فلا ينتهي اليوم إلا، وكل الفروض منتهية، و كذلك جزء من القرآن.
أذهب بعدها لمشاهدة فوازير الخاطبة...
أذكر أيضا... أن قد فسد صيامي غير مرة –خاصة- بعد أن عرض "الطريق إلى إيلات"، وكنا في رمضان... أظن أنه أفسد صيام الأمة كلها على أي حال كما حفر فيلم " الجراج " ليالي مقمرة مسهده بحروف من نور أكملت فيهن ما أغفله المخرج فيما بين الممثله " دنيا " و " محمد نجاتي " على السلم .. على السطح و إنتزعت مشهد بورنو داخل الشقة . في تلك الأيام البعيدة حيث لا دش و لا إنترنت . كان المرء إذا صادق قطه عارية يتهيج .
كنت دائما أحمل معي في جيبي مصحفا صغيرا، وعلبة واقٍ ذكري... نعم... اختفى الآن المصحف الصغير... استبدلته بآخر كبير فخم أضعه في سيارتي دائما، ولا أفتحه أبدا.
الحلم، والطموح... أدرك الآن السبب... عندما كنت أدرس المسرح، قيل لنا إن الطموح يعد رذيلة عند الإغريق... استنكرت وقتها هذا الكلام... لم يعجبني، ولم أفهمه... رغم إعجابي الشديد بالحضارة الإغريقية دراما، وشعبا، وطبيعة.
أعرف الآن لماذا يعد الطموح رذيلة... لم ينطقوا عن الهوى... إذا تحدث الفلاسفة... آباء الدراما... أساطين المسرح... أمهات، وبنات الخيال، والجمال، والحضارة... نسكت نحن، ونتفكر... بدلا من أن ننتقد.
فعلا... الطموح رذيلة... طموحي يحرمني الحياة... .يسرقها مني... نفسي لا تهدأ أبدا... لا أنعم بالسكينة... ألهث وراء الدنيا باستمرار... قادني طموحي إلى إرضاء كل من حولي... إلا الله.
أعترف أني –أحيانا- أرضيهم على حساب... لا... لا أستطيع...
لازلت أتعشم في رحمته- سبحانه- التي وسعت كل شئ... فماذا يفيد المرؤ لو ربح العالم كله، وخسر نفسه.
لازلت أنظر إلى هذا الطفل على أعتاب المراهقة هناك... الجالس يستذكر، ويحلم، ويسمع؛ فيسرح بعينيه بعيدا عن الكتاب... كلنا من أب واحد... أم واحدة... دم واحد...
بس حاسين باغتراب...
اسمع معي... يأتي الصوت من بعيد

الحقيقة نار تعيش تحت الرماد ..... في ضياها بـ اهتدي لحلمي وخيالي
والمحبة تفجر الروح في الجماد..... وبمحـــــــبة قلبي حـ اقدر ع الليالي
كلنا من أب واحد... أم واحدة... دم واحد...
بس حاسين باغتراب... بس حاسين باغتراب
أراه... أحلم أن يمد لي يدا...
يا الله... يا رب... يا من تجيب المضطر إذا دعاك... اغفر لي، وارحمني، وأعني على نفسي، يا أرحم الراحمين.

.....

لا أحد يشكو رجل إلى رجل مثله... وفي كل الأحوال: الشكوى لغير الله مذلة. هذا هو إيهاب و لن يتغير و لم أتوقع ان ينصفني حتى لو بالكلام .. مذلة ....
أتعلمين أنهم كانوا يستبدلون كلمة شكوى بكلمة مذلة حين يعرض الفلاحون المصريون شكواهم إلى العمدة -أو حتى إلى الوالي نفسه- أيام العثمانيين... ما لنا، والفلاحين، والعثمانيين الآن؟
أتعلمين أنني تعرفت على شاب تركي يوما... لا... ليس مهند، بل حتى قبل أن تطفو ظاهرة مهند، وتتفشى في الساحة العربية... كان يدعى جعفر، وكنت حين أنطقها -الجيم- بطريقتنا في مصر، يستنكرها، ويصححها لي في كل مرة، حتى تركته.
سكنت عروس في الطابق الأعلى مباشرة... لم أشعر بها حين زفت، و دخلت، وسكنت.
ذات مرة -وأنا أركب سيارتي- رأيت نورا خافتا يأتي من داخل الشقة المظلمة دائما... دققت النظر من الشرفة المفتوحة، فشاهدت ساعة حائط من نوع غالٍ، و مميز، ونورا يأتي خافتا من حجرة النوم، ففهمت... فهمت أن الشقة -التي أزعجني العمال فيها طوال ستة أشهر متواصلة- قد سكنت بعروسها المشتهاة... تجاهلت كل ذلك فور أن أنطلقت بالسيارة، ولا أدري لماذا دققت النظر من الأساس.
أجلس الآن في حجرة نومي... في فراش بارد... أعاني من الاكتئاب... أفتح شباكي لهواء الشتاء القارص الذي لا يرحم... السحب تحجب الشمس منذ أيام، والبرد قاس... بدأت تمطر الآن... أنا لا أبالي... تتساقط ذرات المطر على وجهي، وعلى وسادتي|، وعلى فراشي... أبكي... أبكي بحرارة... أبكي كالتائب... أبكي.
السماء... السحب... الغيوم... الشمس التي لم تظهر أياما... النخيل المنتزع من بيئته الأصلية، ومغروس عنوة أمام منزلي، وباقي المنازل في إحدى المدن الجديدة... النخيل يتراقص بعنف... أشعر، وكأنه سيقطلع من جذوره... جذوره؟ وهل له جذور هنا؟
هل نبتت له جذور؟ هو غريب... مثلي تماما... غريب.
لمحت أسلاك "الدِّش" الخاص بالعروس، فتذكرتها... وتساءلت: هل حدث أول خلاف... أول خناقة... هل بدأت تظهر متاعب السنة الأولى للزواج؟ أم ترى بدأت تعاني متاعب الشهور الأولى لحمل بدأ ينبت في القرار المكين؟ بعيدا عن الأعين... عن الأيدي... عن النظرات... عن الأطراف... بعيدا... هناك... في أمان تستقر نطفة ستتحول فيما بعد لطفل، ذي لحم طري، غض، لدن، جميل، وناعم.
ترى في أي مرحلة هي الآن؟ وأي نطفة من نطف شهر العسل تلك الأسعد حظا، التي نجت من مصير محتوم... ...
لكم "ودّرت" نطفا بهذه الطريقة... فأنا خبيرة... هأ... لم يعلق بداخلي منها شئ... لم يكن لأيها حظ أسعد من الأخرين... لم أحمل... ولن أحمل... ولن تكون لي ذكرى على هذه الارض... لن أجد من أحيا لأجله... وتحلو الأيام لأجله... يناكفني، ويتعبني، وأشكو منه لأمي، أو أهدده بإبلاغ أبيه... لن أرى أولاده... أو أفرح بنجاحه... أو أخشى عليه من الأصدقاء... لن أرى ملامحي تنطبق على كائن غيري... يحمل جيناتي مختلطة بآخر، و أراني أنمو من جديد... لن أجرب آلام الولادة، و لا سهر الليالي، و قشعريرة سحب اللبن من الأثداء، وأسمع نداء ماما الأثير...
ما الذي يدفعنا للاشتياق لأن نكون أمهات؟ غريزة أساسية تسمى الأمومة.
و أنا...
لن تكون لى ذكرى يا ليلى... لن تكون لى ذكرى.
.....

ليلى

مذيع "بجح" يسأله عن قبلة ساخنة قيل إنه تبادلها مع المطربة اللبنانية فلانة، واللمسة الحارة من الممثلة التونسية علانة، وعن كواليس مهرجان السينما "أبصر فين" مع المطربة المغربية مين، ثم سأله -وببجاحة أيضا- أين مدام ليلى الصيرفي من كل هذا؟
وطبعا أجاب -وللحق كان صادقا-: مدام ليلى الصيرفي في بيتها... تربي أولادها.
آه... يا ربي... إلى متى سأتحمل؟ إلى متى؟
ما أصابني بخيبة أمل -وكانت القاضية بالنسبة لي- حين سأل المذيع سؤلا خبيثا: أليس من الصعب على المرأة أن تكون زوجة لفنان؟
فأجاب الفنان –ضاحكا-: فيك تقول إنه من الصعب على رجل مثلي أن يكون زوجا.

ليلى

سوريا ..صيف ليس له ملامح
لكن رمضان كريم

ولاء

الله أكرم يا سيدتي
أضحك منك والله ياليلى .... سامحيني
ولكن قولي لي... آه.... من؟ مطربة لبنانية؟ آه... دعيني أخمن... من؟ فهن كثر، وممثلة مصرية؟ هذه ليست أنا بالتأكيد... و أخرى مغربية؟
مبروك يا ليلى
زوجك نجح فيما فشلنا فيه سياسيا...
ماذا أرى يا ربي؟ الوحدة العربية تمشي على قدمين؟
لا أكذبك... حين شاهدت الحلقة رأيت رؤية العين كم تعانين... أعترف... ماكنت أستطيع دفع هذا الثمن.
صحيح... كل ميسر لما خلق له... أنا خلقت؛ لأحقق مجدي المزعوم... و أنت خلقت لإيهاب أمين رمضان.
آه... هي أمه اسمها إيه؟

ولاء

الإسكندرية .. صيف مثل أي صيف
وأيضا رمضان كريم

عرفت معدن ليلى الحقيقي في الشدة كما في الفرح .. كثيرات يبين ما بداخلهن حال النجاح تظهر مشاعر من قئ بشري كانت في الأحشاء طوال الوقت ، توارى هناك تحت ضحكات من زجاج تظل معلقه في الهواء . الفرح .. النجاح .. يجعلها تهوي و تتفتت .. يخدش طبقه رقيقه من الزيف الأنثوي الرائق فيتقيأن ما بداخلهن من عفن و حقد يصدر دخان .

.....

لست أدري أهو إحساس بالذنب؟ أهو شعوري بأني مقصر دائما معهم؟ أهو ما دفعني لموافقتها على السفر؟
لم أكن متحمسا، ولا في مزاج مناسب للفسح، إلا أني شعرت أنه من حقها عليّ -هي، والأولاد- يومين تغيير، ولحظات خاصة.
سعادتها -هي والأولاد- أصابتني بالعدوى، فتأجج الحماس، وغمرتني سعادة لذيذة مبهجة، تذكرني باليوم السابق للرحلات أيام المدرسة.
اليوم السابق للرحلة غالبا أمتع من الرحلة نفسه،ا بما فيه من تمني، وتجهيزات، وتوقع ليوم مميز، ومختلف.
ليلى لم تحركني يوما... لم تهزني مثلما فعلت لبنى، وأخواتها من قبل.
في البداية كانت رقتها، وخوفها، وتألمها المستمر في كل لقاء، والخجل... كل شيء كان جديدا عليَّ... و رويدا... وعلى مهل... وببطء شديد... وفي ظلام لا يرى منه كف اليد... وبتؤدة... يتم اللقاء. لكنني كنت مشتاقا للمباغتة، والهجوم، والاقتحام، والبجاحة، والإنارة... إنارة -ولو ضئيلة، كلهب الشموع- تمكنني من رؤية ما يحدث.
حاولت، وحاولت، وهي رافضة... بليدة... عنيدة كالبغل...
لكن محاولاتي لم تضع هباء بالكلية، فقد استطعت -وبعد جهد- أن أجعلنا نقف في منتصف الطريق بين الرقة والعنف.
أنا لا أقبل أنصاف الحلول، وعندي أمل أن نتقدم خطوات أخرى... أعلم في أعماقي أنها لن تفعل... لن يحركها حبها لي، ولا تأجج مشاعرها نحوي قيد أنملة... فهي بليدة الحس بطبعها... حتى أنها لا تنفعل، ولا تثور إلا نادرا، وإيقاع حياتها، وإحساسها بالأشياء بطئ، هادئ، ممل.
أجلس معها، وأنظر إلي وجهها، فلا يصادفني أي انفعال... لا أستطيع من خلاله أن أعرف إن كانت سعيد... متألمة... متوترة... غاضبة... عشت سنين معها، والعِشرة –فقط- هي التي تنبئني بردود أفعالها... لا انفعالاتها، ولا حتى كلامها؛ فوجهها من نوع يسمى دراميا "exbressionless" وجه خالٍ من الانفعالات.
لماذا هن دائما بليدات هكذا؟ بناتُ الناس... من تربين على الفضيلة... من نأتمنهن على أسمائنا وأبناءنا... لماذا يتسمن دائما بالبلادة، والخجل، والطراوة... هناك خطأ فادح في التربية، والنشأة، حتى نصل بالبنت لأن هذا عيب... وهذا حرام... حتى تخشى أن تخطئ مع الزوج نفسه.
نهايته... لم يكن هناك مناص من السفر، ولا من اللحظات الخاصة.
اللعب على الشاطئ، والسباحة، والسعادة، والرمال، والشمس، والهواء أثارت بداخلي النشوة، والحماس، فصعدنا... فتحت الشباك، وكان القمر مكتملا... رائع... على الأقل كفل لي -إضافة إلى منظره البديع- رؤية جيدة... تشبه ما كنت أحتاجه من الشموع.
نسيم البحر... آه... أتنفسه... أملأ به الرئتين، فيشع في نفسي حماس خفي... صوت البحر يأتي من بعيد، فيكمل بهاء المنظر.
أتت من حجر ة الأولاد بعد أن اطمأنت لنومهم... أردت أن آخذها كما أريد... أمسكتها من ذراعيها بقوة سمعت لها"آه" تلذذت لها، وأثارت حماسي أكثر، فضممتها إلى صدري، قبلتها كما لم أفعل من قبل... همست في أذنها بكلام فاحش وألقيت بها على السرير، وقبل أن أخلع القميص و أرتمي عليها، وجدتها تنكمش على نفسها مبتعده هناك تحت الشباك، وقد ضمت ساقيها ورجليها إلى صدرها، ودفست رأسها بين قدميها، وأسندت ظهرها على الحائط.
أنا : - شو صار؟

هي :- نحن مو حكينا إنا هنغير هالطريقة.
تنهدت، ووجدتني، وكأني ألقى عليَّ دورق ماء بارد... خرجت آسفا... نزلت السلالم عدوا... ولم يوقفني شي عن التقدم سوى البحر، الذي وجدتني واقفا عنده... أشعلت سيجارة، وجلست على الكرسي الذي كنت جالسا عليه قبل قليل أمني النفس بليلة ساخنة.
تاكدت يومها أنها لن تكون أبدا كما أريد... لن ترغم نفسها على ذلك... واضح أنها لن تتحمله أصلا... جلست وحيدا... أرقب البحر -رغم أني لا أحبه في الليل- خرجت، و أتت و جلست بجانبي... لم ألتفت إليها... لم أستطع أن أنظر ناحيتها... مدت يدها، ولمست أناملي بهدوء، ورقة، ونعومة زائدة عن الحد... زائدة عما أطيق، وأتحمل من بلادة زائدة عن أي تصور... فسحبت يدي بعنف، وطلبت منها أن تتركني وحيدا...
لم تفعل، وكنت جادا حقا فيما أقول كنت أريد حقا أن أكون وحيدا... أو مع أي امرأة أخرى غيرها. امرأة تتقبل ما أفعله أيا كان... تستلذه... تحبه... تستزيده... امرأة تحرضني أن أفعل بها "كيف ما بدي"... لا شئ ممنوع... امرأة يمتعها الألم... يجعلها تشعر بضعفها، وأنوثتها، وقوة من معها، وقدرته على الانقضاض، والسحل، والطعن.
ليست كهذه الرقيقة الناعمة البائسة.
طال الصمت شعرت أن وجودها لن يضيف شيئا كما أن الجو صار بارد و الطل نازل وقفت ربتت على كفه و مشيت محملة بآمال أن الغد سيكون أفضل و استوحشت عيني النهار ظل صامت .. أشعل سيجارة من أخرى تأملها و هي تعطي قبلة الحياة لسيجارة أخربقبل أن تنطفئ لتمنحه اللذه نفث الدخان و ظل يراقبه حتى تماهى مع الهواء و اختفى
كان الشاطئ خاليا في هذا الوقت من السحر . ظهرت من بعيد امرأة تتهادى متجه نحوه ترتدي شالا أخضر . مع كل خطوه كان يشتعل بداخله أمل غامض و ينطفئ .. من تلك الغريبة التي تمشي على الشاطئ في ذلك الوقت ؟؟؟ وقف و إقترب منها ببطء و حذر
_ لبنى
ضحكت ضحكتها المجلجلة مدت يديها فاحتضن راحتيها بيديه
على ضوء مصباح أصفر كاشف كان مدلى من عمود إنارة قريب ظل يتأملها .. الزمن خط بأقلامه الرصاص على وجهها و جسدها لم يعد فيها من تلك المرأة المشتهاه إلا ظلال خيال يكمل ما أفسدته الصورة
_ صرت ممثل ناجح و مشهور كما أردت دائما
إبتسم و لم يرد أمسكت إحدي يديه و تركت الأخرى و قادته كما كانت تفعل في السابق عادا من نفس الطريق الذي أتت منه
غاص في أفكارة .. الصدف لا ترتب بعمارة هندسية متوازنه كالذي حدث الأن هذا اللقاء ليس للصدفه شأن به
_ مات منذ عامين
_ الله يرحمه
_ كنت ستسألني عنه ؟؟؟
_ لا .. نعم / بالطبع
_ ترك لي مزرعه كبيرة و محال الجزارة يديرها أبنيا
أكثر من الفقد عذبه النسيان .. إحتمال أنه ينسى كأن لم يكن هدد زهوة شبابه لسنوات سنوات و أخمد لظى الكبرياء ولد لديه إحساس بالضأله
_ أتتبع اخبارك من الجرائد عرفت إنك هنا في هذه القرية بالتحديد فجئت
صح الصدف لا تمنح هذا الترتيب أبدا .. هاهي لبنى ترتب للقاء كما كانت دائما بدأب نملة و حرص حدآة
_ إشتقتك إليك

لم يرد ..
_ ألا تريد سماع آخر أشعاري ؟؟؟
_ ألا زلت تكتبين ؟؟
كان يعلم أن سؤاله ينطوي على صلافه و استخفاف لكن شعور عدائي كان ينمو ضدها و ضد كل ما فعلت و تفعل ، من جانبها تجاهلت فظاظة السؤال و أجابت ببساطة
_ نعم و هذه القصيده مهداه إليك هي بعنوان
" ما بين التمترس و الارتحال "
_ يا سلام

إلى عينيك يسوقني شوق الإرتحال
أعيش بدونك جافه .. كاصنبور هجرته المياه
كلما حاول احدهم إستدرار مائي
أصدر هواء
يشتم هوائي من هو مثلي
مقيد إلى عينيك

_ يا سلام ..
و لم يزيد ، تسائل فقط بينه و بين نفسه كيف كان فيما مضى يسمي هذا الهراء شعر ؟؟؟!!
كانا قد وصلا إلى الشاليه الخاص بها أدارت المفتاح و دخلا .. لم يكن هناك شموع و لا بخور أضاءت المصباح جلست على أريكة أمامه إنتبه إلى أنه لا يزال واقفا فجلس بجانبها خلعت الشال الأخضر فظهرت ثنايا تحت إبطها تبرز تهدله .. إقتربت منه و اسبلت عينيها فاقترب منها بدون مقدمات منطقيه هجمت على شفتاه تلتهما .. كانت تلك المباغته تؤلمه من اللذه في السابق لكن الأن أصبح أكثر حرصا و ميلا للتهادي على مهل أبعدها عنه برفق بحركه لا إرادية فلم تستجب و غاما في قبلة طويلة ظل فيها ذهنه متقدا كأنما يقبلها و عيناه مفتوحتان أستطعم القبلة فوجد إنها تشبه آلاف القبلات التي ذاقها من قبل حتى أن قبلة ليلى التي تبطر عليها منذ قليل تفوقها
_ آي
تألمت فابتعدت واضعه يدها على فمها فإذا خيط رفيع جدا من الدم الممزوج بالمخاط ينز بحرص خلعت سنة من سنتيها الأماميتين ووضعتها في كوب زجاجي به محلول ملح موجود على منضده صغيرة على الطرف الأيمن من أريكتهما .
الدماء تفسد الحلم .. تفسد وهما حلم به لإزمان و ظن أن وجدانه حفر بأنامل تلك الشمطاء المهترئة بدا وجهها بعد إزالة السن كابيانو قديما كان غاليا الأن فقد أصبع الصول كان ذهنه شارد و كانت تحكي عن الحادث الذي فقدت فيه السن
أثناء إنهماكها في الحكي ظهرت على وجهه إبتسامه أرسلها لإيام ماضية .. و قف و أستأذن في الانصراف . أمسكته بكلتا يديها من ذراعيه و لما أرادت ان ترجوه إنتبهت أن الكلام سيخرج من ذلك الفم المزل بالفقد .. تركت إحدى ذراعيه ووضعت يدها على فمها أثناء الكلام
_ أنا آسفه .. سأعيد السن إلى مكانه بمجرد أن تجف اللثه
القرف صعد و بلغ الزرى حتى بان على وجهه و لم يخفه إعتذر بكلمات غير مفهومه و اتجه ناحية الباب بسرعة حتى يغلق أمامها فرص التحايل أسرعت ورائه تستبقيه أفهمها أنه متزوج الأن و لدية أبناء و قد كف منذ زمن عن هذا اللهو . لم تفهم فازاحها من امام الباب برفق و إنصرف .
لم يحاول ان يبدو لبقا و لطيف و استراح لحقيقة أن هذا عقاب مستحق . لم تحبه هذه السيدة

يوما . لم تحب سوى نفسها تمنحها المتعه أينما شاءت و تدللها و الجنس بدون ححب إمتهان للجسد . لجسده هو بالذات .
هذا رد بسيط على كل ما فعلته .. هذا رد بسيط جدا إزاء هذه " الاشتغالة " التي مخضت عمره و أفسدته .. كان في طريق عودته يعدو عدوا و كلما تذكر السن و المحلول الملحى تفل .. هرول ناحية ليلى ناحية بيته و عالمة

_ بركاتك يا شيخة ليلى

دفن نفسه في أحضانها قبل جبهتها ..
_ حبيبي
قامت و تعلقت في رقبته و غاما في قبلة طويله نط فيها تقبيل لبنى و سنها المكسور فابتعد فجأة عن ليلى
_ شو صار
لم يرد و كأن إبتعاده عادي فقط قام و فتح الشباك
نام معها كما تريد هي ليس كما يحب و كان راضيا لكن ما حدث مع لبنى ظل يطفو كماء طافح من بالوعة حمام فتطفو غمامه تسم وجهه الجميل بالكأبه .. ضل طيف سن لبنى يطارده و هو يحاول طرده ضربا بالحذاء .
في الصباح كان يلعب مع الأولاد على الشاطئ يحاول ان ينسى شعور القرف كلما تذكر صاحبةالسن .. جاءت لبنى على وجهها ملامح أنثى مهانه بدى إنها تسعى لإختلاق مشكلة تعامل معها بحنكة و برود أطفأ نيران حقدها المستعرة بمزيد من الاشتعال
_ كيف حالك اليوم يا إيهاب
_ بخير شكرا لك
_ هذان الطفلان ....
_ أبنائي .. أستميحك عذرا
حملهما و ذهب و حين سألته إبنته عن كنه هذه المرأة أجاب بصوت مرتفع
_ تعلمين يا حبيبتي المعجبات و تطفلهن
رحل في ذلك اليوم . أثناء لملمت الأغراض من هنا و هناك صعد ليلقى نظرة أخيرة على غرفة النوم و تذكر إنه نسى الشباك مفتوحا وقف أمامه ليغلقه فوجد لبنى واقفه على شاطئ البحر تنظر بتحدي ناحية الشاليه .. تفل عدة مرات ليس ليهينها لكن من فرط قرفه و تمنى لها من اعماق قلبه موتا هانئا بعيدا عن سمائه .

.....

العزيزة ولاء
كيف حالك ؟؟؟
كيف حال زوجك ؟؟
كيف هو شهر عسلك الميون أتمنى ان تكوني بخير حال
هل تشعرين بالحرية و أنت معه ؟؟؟؟
عملك .. إستقلالك المادي يكسبك حرية .. يمنح حق عدم القدرة على الاحتمال .. ما الذي يدفعك إلى تحمل ثقل ظل رجل و تآمره ؟؟؟

آه يا ولاء فأنت مثلا تستطيعين أن تصحي من النوم مشعثة الشعر، ورائحة فمك متغيرة، ومنظرك العام لا يسر... أنا لا أستطيع... تستطيعين أن تظلي على هذه الحال باقي اليوم، أو أن تذهبي لمصفف الشعر... حسب مزاجك... أنا لا أستطيع... تستطيعين أن تتركي شاربك ينمو حتى تحلفي عليه، وشعر جسمك يتغول حتى يصبح غابة... إلى أن يأتي اليك المزاج المناسب، لتهذبي كل هذا... أنا لا أستطيع... تستطيعين أن ترتدي في بيتك ما ترتاحين فيه من ملابس رثة أو جديدة... بسيطة أو بذيئة... كما تشائين، وكما هي حالة المناخ.
أنا لا أستطيع... تستطيعين السفر إلى سوريا وقتما تشائين... للبكاء على أطلال بيت قديم يريحك مجرد الوقوف أمامه بالساعات... أنا لا أستطيع...
تستطيعين الخروج من منزلك وقتما تشائين، أو وقتما تقتضي الحاجة للخروج، أو وقت أن تملي... أنا لا أستطيع... تستطيعين أن تعرفي، وتصاحبي من شئت كيفما شئت، بالطريقة التي تحلو لك، في الوقت الذي يناسبك... ليس كيفما يشاء هو... أنا لا أستطيع ...
تستطيعين أن تزوري أهلك... أمك وأخوتك... صديقاتك... تفضفضي معهن بما يخالج نفسك من مشاعر القلق، والضآلة، والكآبة، و صراحة... أنا لا أستطيع...
تستطيعين حتى أن تعبري عن هذا كله معه هو، حيث ليس لك غيره في الدنيا... أنا لا أستطيع... تستطيعين أن تسمحي لمشاعر الغيرة أن تعبر عن نفسها، وتروي له ما يعتمل بنفسك من قلق، وخوف، وحيرة، وشك، وحب، ووحدة... أنا لا أستطيع... تستطعين أن تنامي مع زوجك وقتما شئت، كيفما شئت، و أينما شئت... حسب مزاجك أنت... لا حسب مزاجه هو، وحسب ظروف عمله، وارتباطاته، وحالته المزاجية... أنا لا أستطيع...
هذا، ولم أحدثك عن رجوعه ثملا... أو عن احتمال وجود أخرى... أو عن مزاجه المتقلب... أوعن حبه لنفسه -الزائد عن الحد- أو تحملك لمسؤلياته مع مسؤلياتك رغم أن الحياة مشاركة... ذلك ليتفرغ هو للإبداع، وإن تذمرت، تكوني مدللة، غير أهل للثقة... أوأنك تتعمدين تعطيله، و شغل ذهنه بما لا يستحق... تستطيعين أن تتحملي النقد الدائم لشكلك، وسلوكك، وثقافتك، وطبخك، وذكائك، وحسن إدارتك للأمور، أو أن تتمردي وتقولي له "وش" كل عيوبه، ونقائصه، وأنه ليس ملاكا... أنا لا أستطيع.
طيب... هل هناك تعويض مادي مناسب عن كل هذا إذن؟
ستضحكين...
أنا لا أعلم أجره على وجه الدقة حتى الآن... وقد أقنعني أنه من العيب أن أسأل في مثل هذه الأشياء... الاقتران برجل ناجح -رجل ذي رؤيا، وحماس- له ثمن... أحيانا يكون فادحا...

المخلصة :- ليلى

_ ٧ _

كاثور هائج مثخن بالجراح يثير شهية اللبؤات أينما حل .. كان هو .
يذكرهن بجوع أبدي فتفيض روائح الرغبه في الهواء .. يتم الصيد بتواطئ من الفريسة ..
تترك اللبؤة تفعل ما يحلو لها و الافتراس بالكيفية التي تريد .. تنبش بأظافرها ظهره العاري بينما تنشغل يدها الأخرى بنزع جلده التنكري .
تداعب أعضاءه بتمعن و بطء تأكله على مهل ، تتركه بعد أن سالت دماءه بيضاء كالطهر عرق لزج
استسلم للبؤات .. وهم العمر .. حقيقة الخديعة .. استسلم لجميع لبؤات وجه الأرض .
و البقرة خلفه تسمع و تشم و ترى فلا يعيرها اهتمام ولا يصدر عنه خواريطمئنها أو إلتفاته البقرة التي كانت تنزف حبا و دما كلما نزف جرحه من لبؤة .. تدميه و لا يخفي الجرح .
تمخض عن قريحتة البقرة عفن و تلوث ذا رائحة و صوت يليق ببقرة فارض كان يردد باستمرار التحول .. التحول طقس أبدي لحيوان في طريقه للإنقراض . جذت البقرة بأسنانها كره أبدي لكل لبؤات العالم و أخذت في التحول .. تحول يحسبه الناظر من الخارج إنحدار بقوة .

.....

آه... أحن إلى خبز أمي، وقهوة أمي.

سوريا... منية القلب، والعين... وطني... بلاد الآباء والأجداد... اتوحشت شوارعها، ورائحة الياسمين... وكاسات الشاي بالنعنع، والقهوة العربي... اشتقت لصفيحة، والحلوم، والراهب، والشنكليش... اشتقت لحمص، والبيت الكبير بدير فول، والسور القديم بالشام "دمشق"، والمزة، وشارع الحمراء، وشعلان... اتوحشتك يا جميلة... يا فتية... يا سوريا...
اه يا ربي... اشتقت البيت القديم في الضيعة النائية... اللعب مع أطفال الجيران في دخلة البيت الواسعة... عبير الياسمينة الصبية... عمرها من عمري تقريبا... الحبق في قصاري حول سور البيت كله... يهفو قلبي بمجرد استنشاقه في أي مكان الآن.
النعنع... تطلب مني أمي -كل يوم- أن آتيها ببعض منه لزوم الطبخ، ولزوم شاي العصر، فأمضغ جزء منه في الطريق... حتى أصبحت عادة عندي إلى الآن... شجرة الزيتون التي زرعها أبي أول ما سكن البيت، و نمت بعد أن صرنا شبابا... طريق المدرسة بأشجاره، وترابه، وسماءه. الأشجار على طول الطريق تتشابك أغصانها محدثة مظلة طبيعية غاية في الروعة، والبهاء تمنى النفس بالجنة.
تراب الطريق يعلق كل يوم على حذائي الأسود... يستحلفني أبي بالله أن أنظفه، وأرفض باستمرار... لماذا أنظفه، وسوف يتسخ من جديد في اليوم التالي مباشرة، وحين يئس مني أصبح يلمعه بنفسه لكن كل أسبوع.
أيام الشتاء... الأشجار مغسولة الآن، والجو يحمل رائحة مميزة... لماذا تذكرني رائحته - بالفخارة-الموجودة على الشباك؟ نذهب -أنا، وأخي- لنأتي بالحطب من آخر الدنيا؛ للتدفئة، رغم أننا نستطيع أن نأتي به من أم هاروت جارتنا مباشرة، لكنها كانت فرصة للتلكؤ، واللعب، والزوغان... فقد كان الجو لطيفا صيفا، لكنه قاس، قارص البرد في الليل، وفي الشتاء.
التراب الآن -وقد أصبح طينيا- لا تجدي معه نفعا لمعة أبي السوداء، ولا يده الدؤوبة...
السماء... إلى الآن حين يتلبد الهواء بالغيوم، أشعر بسعادة، وتهيج فيّ أشجان، لا أدري لها سببا، غير أنها تذكرني بتلك السماء الرحبة هناك... في الضيعة النائية... في البيت القديم.
نجتمع –أنا، والأطفال- على صنع طائرة ورقية... تصلح مرة، وتفشل في أغلب الأحيان.
شجرة الجوافة وارفة الأغصان عند الجيران، ولا أعلم لماذا تنبت ثمرة واحدة في الموسم كله... نتسابق لقطفها؛ لنرى من سيفوز بتلك الثمرة النادرة... دائما نتسرع؛ فتقطف خضراء... من كثرة صراعنا، وصراخنا، والجري من عصا الجارة لآخر نفس، وضحكنا... لم أذق أطعم منها في حياتي.
جلسة أمي في ليالي الصيف عند مدخل البيت مع الجيران يتسامرون، ونحن نلعب حولهم، وصوت فيروز يأتي من بعيد "خليك بالبيت... الله يخليك... خليك"
لا أنسى أبدا يوم أن كنت مع ولاء في مول ما، وسمعت هذه الأغنية، بينما هي في غرفة مجاورة، تجرب فستانا جديدا... لا أنسى كم الإحراج الذي شعرت به حين خرجت، ووجدتني مفطورة من البكاء، و البائعة في المحل قد أجلستني على كرسي، وأتت لي بكأس ماء، وأنا لا أكف عن البكاء... خرجت ولاء؛ لتريني الفستان؛ فراعها المنظر، وأنا أنظر إليها من خلف الدموع، وتسألني عما بي، حنين طفى من داخلي و طغى على وجداني و عقلي فلم أستطع إخفاءه . إنهمر في دموع سخينه يعبر عن نفسه .
أخي، وأبناء عمومتي، وحبي الأول... صديقات الصبى، والقطة الرومية، و دجاج المنزل، و خرير الماء، وخروف العيد الذي نطلق عليه اسما غريبا في كل مرة، ونتعامل معه على أنه كلب تارة، وحصان تارة، وحمار، وجمل، و بغل، وهدهد، وطائر الرخ، ومالك الحزين، وهو

حزين فعلا مما يفعل به... يكاد يهلك قبل الذبح... آه.
أشتاق إلى بلادي... أشتاق إلى البيت القديم.

.....

أراها تحيا مع القلق، وأشفق عليها منه... ترتدي ملابس مبتذلة، لا تناسب سنها، ولا وزنها... تدخن بشراهة... تذهب باستمرار لمصففي الشعر، وتتبرج بشكل مبالغ فيه... لا يليق... تسر إليّ أنه في لحظاته الخاصة -النادرة- معها لم يعد كما كان... يلهث، ويتعرق... كما أنه غير كامل الانتصاب.
أعلم أنه لا يفتأ يطأ غيرها من الحسناوات الصغيرات الغرائر.
ولا يزيدها هذا إلا قلقا، وخوفا، وابتذالا... تشتهي أن تملأ عينيه الفارغتين، هو لا يراها... اعتاد على المتعة المحرمة؛ فأصبح لا يستمتع إلا بها.
وأصبح ناقما منها... نفس المميزات التي لفتت نظره إليها منذ البداية... الرقة، والهدوء، والطراوة.
قال لي إن الرجل يحتاج جزءا من المرأة تصبح فيه أما له... المرأة التي يعمل "عملته"، ويجري يختبئ في أحضانها، لا ليختبئ منها... ويكون مخطئا، وتسامح، وتطبطب عليه... وهي لم تكن كذلك أبدا... ولن تستوعب ذلك من الأساس. هل كانت ستتحمل أن تراه كما رأيته من زمن في فيلا إيمان عاري .. حر .. بذئ .. يمارس حب مع إمرأة غيرها يرتدي سروالها بعد أن ينتهي و يضحك يقول لها أحبك و يمتعها بعضوه و طعناته و لسانه .. هكذا ببساطه هل له أن يصارحها بأنه واقع في الحب؟ هل ستتحمل ليلى ذلك؟ بالطبع لا، وقليلات من يفعلن.
غير مرة أوشكت أن أقول لها إن العيب ليس فيها، لكني أحجمت، وأشفقت من رد فعلها... تحبه... تتيه فيه عشقا... والملعون يحب فعلا!!! وسيم، جذاب، ناجح، شخصية، كريم، له عقل قيم، يجيد إثارة العشق، والود كلما شعر بها تخرج عن السيطرة، يمتعها في لحظاته الخاصة معها -و فضلا عن ذلك- أبو أولادها، أول، وآخر رجل عرفته... قالت لي أكثر من مرة أنها تود أن تجري بعض عمليات التجميل، فتشفط الدهون، وتشد الصدر، وتنفخ الشفاه، وتطيل الشعر، وتحقن بوتكس، أو ما بـ اعرف شو... وأنا اكتفيت بأن قلت لها إن هذا غير مضمون، وهي فهمت من كلامي أني أخشى عليها من العمليات نفسها... سكت... لذت بالصمت، فقد كنت أضمر غير ذلك... هذا غير مضمون معه هو... هذا لن يجعله ينظر إليها... ترى هل سيجعله هذا ينظر إليها؟ ويقبل عليها من جديد؟ يمكن... لو نجحت في تغيير نبرة صوتها أيضا، وطريقتهما الخاصة معا، ونجحت في أن تجعله يسرق المتعة معها مثلما يسرقها مع غيرها، و كانت أكثر بجاحة، ووضعت عطر الرومبا... و أشعلت البخور . مسكين هو الآخر... نفسه توحشت، وصارت تتحكم فيه... آه رحماك من هذا العذاب .

. . . . . .

_ ٨ _

الثور لا يكف عن ترك ظهره عاري لخدش اللبؤات و البقرة تتحول بسرعه لصورة لبؤة حديثة العهد بالافتراس فتبدو مضحكة . زيها التنكري لا يناسبها تمام و تكاد تنكفئ على وجهها من شدة الخجل يبدوا أن جلد اللبؤة المميز لا يريحها فهو ضيق و كاشف .

هي من تربت على الخجل و كتم المشاعر . ترتدي ما لا يخفي سؤتها إلا بالكاد .

لم يجرؤ الثور رغم إعتزازة بشرقيته أن يفتح فمه حين رأها في زيها التنكري المثير ..

صارت بقرته أم ثيرانه مثل اللبؤات الاتي يطأهن ليل نهار و لم يستطع الاعتراض . يعرف الأن لأول مرة أن الكثير من خدوش ظهره تسبب في كسر عينيه .

.....

أنا من اضاع بالأوهام حلما .. أشعر دائما أن جسدي ليس ملكا لي حين أتعرى، وأمارس الحب بلا حب... فقط حسب رغبة مخرج، وكما خط مؤلف، وصاغ، وتبعا لزاوية التصوير... بلا مشاعر، ولا إحساس... حتى أني أذكر يوما -وقد كنت لا أزال أحمل مشاعر خاصة تجاه إيهاب رمضان- أني لم أشعر، وهو يقبلني بأي شئ عدا الضيق والاشمئزاز من النفس المعبق برائحة النيكوتين... كانت أول قبلة أمارسها في السينما، أمام الكاميرات؛ لذا صاحبها إحساس بخجل استطعت إخفاءه، وتقزز فررت منه بالخيال حتى انتهت.
ظهرت على الشاشة -بعد أن وضعت في سياقها الدرامي، وتم عمل المونتاج، ووضعت المؤثرات- بشكل أثارني... نعم... أثارتني قبلتي حين شاهدتها على الشاشة أكثر بكثير مما فعلت، و أنا أمارسها أمام الكاميرا .
الآن أحقق مجدا عظيما ينمو مع الأيام... أمارس التقبيل ، وأنا مغمضة عيني... ببساطة، وحرفة... خلاص... زال الإحراج، والخجل... لم يبقَ إلا التقزز، و التبلد، و الإرهاق، والملل.
أحقق نجاحا يفوق أحلامي... مفرحا، ومرضيا على صعيد العمل... العمل، وفقط... مازلت أتخبط عاطفيا، وليس لدي أطفال من عدة زيجات، ولا أدري إن كان في هذا ميزة أم عيب... آخرهم يحاول الصلح ، ضبط نفسي و هي تفكر في الرجوع و تجمله لعيني . أعيش مع أهلي -أمي وإخوتي- إلى الآن... أو قل: هم من يعيشون معي... أشعر بوحدة شديدة... وأعالج من الاكتئاب.
لكن من يعرف ربه يرتاح ..

أخيرا أيقنت أن العيب يكمن فيّ أنا، وليس في أزواجي السابقين، واللاحقين... أنا التي لا تعرف للرضا معنى أو سبيل... لماذا أعطي الألفاظ غير معانيها وأعيش الوهم... الحلم... ثم الكابوس؟
هل واقعي مؤلم لهذه الدرجة حتى أهرب منه لهذه الدرجة؟ لطالما أحببت الأشياء التي تتم -فقط- بداخلي... هل كان ذلك سببا في أن أطول علاقة لي برجل -ست سنوات- تمت بيني وبين نفسي، داخل جدران النفس الأربعة؟ هل كانت ستنهتي علاقتي بإيهاب إذا تمت ؟؟ ... هل لذلك حرصت على مشاهدته ممارسته للجنس لإن إجترارها أمتع كثيرا بالنسبة إلى ناقة مثلي من ممارستها حق هل كنت أكثر إستمتاعا و أنا ألعب دور المراقب العام للمشاعر الإنسانية .. هل لذلك حرصت على مسافة ثابتة بيني و بينه هل كنت حقا أسعى بذلك للحفاظ عليه ؟؟ هل لو تمت علاقتنا بالفعل كان سيكتب لها الاستمرار عاما كاملا متواصلا على الأقل ؟ أم إن الملل سيدفعنا كلانا للتغيير ؟؟
لماذا أفكر هكذا الآن؟ هل لأني تعبت من الفشل، وأحاول إنقاذ هذه الزيجة ، حين عاد و حاول إرجاع مياه كانت قد تعكرت إلى مجاريها ، تشبثت لآخر نفس؟ هل لأنه رجل وقور، محترم، ويحبني حقا؟ طول أناته، وصالح أعماله جعلتني أتعرى أمام نفسي... بيد أني كنت أشرف -مائة مرة- حين كنت أواجه من قبل، وأرفض بدلا من الإذعان، والقبول، وأن أبقى معه، وأنام معه، وأنا أتخيل غيره.
هل يستحق مني ذلك؟ هل أستحق أنا من نفسي أن أكون هكذا؟ أصبح الوهم شرسا لدرجة يفرض فيها نفسه على واقعي بقوة، ويلقي بظل ثقيل على ما تبقى من زواجي.
ينغصه، ويقلقه، ويهدده.

.....

_ ٩ _

ءالأن ترفضي الخيال ..

إصنعي منه شماعه خشبية متينه إن شئت تليق بالفشل .. سددي ركله
للحلم ايضا .. للزكريات فتتناثر عليك :-
أسماء .. أماكن .. عمر

ءالأن ترفضي الخيال !!

كنت الملكة و الصديقه و النبيه بالخيال
لم تشعري يوما بالفاقة رغم الاحتياج .. لم تشعري بحرمان .. عجز .. نقص
امتلكت الزمن .. تطول تلك اللحظة
تتمطى الأحداث كقط كسول

تعاد .. تتكرر

أنت وفقط من يتحكم في العلاقة لا الظروف و لا الطرف الآخر

ءالأن ترفضي الخيال !!!

تستمتعين .. تنطلقين .. تحبين . لست في حاجة لتحمل عواقب الأمور
تكييف مركزي كان خيالك . بارد .. ساخن
يعمل تلقائيا وفق متطلبات اللحظة

ءالأن ترفضي الخيال ؟؟؟؟

خصوبتك المفتقده تمتع بها خيالك
فأهداك أطفالا
تراعينهم و يكبرون تستبدليهم إن شئت

فطوبى لمن امتلك براءة الحلم و مفتاح التشغيل و لم يخجل ..
و لم ينقم .

.....

بالقرب من نهر النيل جلسنا، وبكينا... أنا وليلى.

هي تبكي الخيانة التي لم تعد تطيقها... وأنا أبكي مشاعر سقطت سهوا على طريق المجد زاد الموضوع عن الحد؛ فأعرضت عنه، وأخذت الأولاد، وبدلا من السفر إلى سوريا سافرنا إلى أسوان... تسافر إلى سوريا لمن؟ الأب والأم يرحمهم الله، ويرحمنا معهم... الأخ في السعودية، لا يأتي منها تقريبا... الخال صالح الطيب... توفى أيضا، وبنات الخال باعدت الأيام بينها، وبينهن، ولا تستطيع أن تفضي إليهن بما يخالج نفسها الآن.
فأتت إليّ... احتويتها، وربت على كتفها، وقبلت الجبين، وحاولت ألا أضمد الجرح، ولا آتي بجانبه من قريب أو بعيد، ولا آتي على ذكره من الأساس... بعض الجروح لا يحتمل مطهرا ولا سكينا.
اقترحت عليها السفر إلى أبعد، وأجمل مكان... إلى أسوان... ولم نخبر أحدا

أبكي... آه... رزقت أختي بمولود جديد... أضمه إلى صدري... له رائحة مميزة، ويشبهنا كثيرا، لكن له عينا أبيه... قدماه صغيرتان أقبلهما... أضمه، وأضعه على حجري... يرضع بالببرونة مصدرا صوتا مميزا ناظرا إليّ، ويده تعبث بخصلة من شعري... آه... اتركها... أي... الببرونة التصقت... أخرجها من فمه بصعوبة، وفي اللحظات التي تعيد امتلاء الحلمة بالهواء مرة أخرى لا يصبر... يبدي اعتراضه بالرفس، وباصوات لا أفهمها... آه... كانت ستنتهي بسارينة بكاء، لولا أني أعدت الببرونة إلى مكانها، وأكمل رضاعته ببطء، وتمهل، ثم دفعها بلسانه معلنا بوضوح أن الحمد لله رب العالمين... أضمه إلى صدري -مثلما رأيت أمه تفعل- وأربت ببطء على ظهره.
أضعه الآن على حجرى... أنظر في عينيه... آه... "مصحصح"، ولا يبدو أنه سينام في القريب العاجل... "طيب... رضاعة، ورضعت"... ماذا أفعل الآن، و أنت لا تعلم من ملذات الدنيا غير الرضاعة، ومص الابهام؟ أتريد تغيير الحفاضة؟ اصبر، حتى تخرج أمك من الحمام... آه... أمك... أنت لك أم... نعم... تلك التي لا تعرفها إلا إذا أردت شيئا
لا... لا تكن لئيما... أنت تعرف ما هو... آه.
كم أحبك يا ابن نجلاء، وكم أتمنى أن يكون لي مثلك
قطعة مني... شكلي... نبتة جميلة أرعاها؛ فتنمو أمامي... حتى مشكلاتها الصغيرة أهتم لها... أوفر لها حياة لم أحظَ أنا بها... أعيش على أمل أن يتحقق فيها ما أخفقت أنا فيه...
أحبك يا ابن نجلاء... وأتمنى أن يكون لي مثلك
أشعر به يتحرك داخلي... أه... كأني أقبض بيدي على عصفور حي.
أتوق حتى لتعب الشهور الأولى... أتمنى حتى القيء الصباحي... أشتهي التعب، والمغص، والنوم، والوخم... تعب -مهما طال- لذيذ... يجعلك تتدلل على كل من حولك، وترى اهتمام الأب، وخوفه، وإشفاقه
وعلى ذكر الأب -حيث إنني لا يمكني الإنجاب منفردة طبعا- أول زواج تم سريعا، وانتهى سريعا، فلم ألحظ -أو قل لم أهتم- وقتها بموضوع الحمل، بل حمدت الله أني لم أنجب من هذا الزواج السريع، حتى لا أظلم كائنا ضعيفا دون ذنب غير أني تزوجت والده دون تأنٍ، أو بصيرة، فكفى بالمرء ذنبا أن يضيع من يعول... أما الزواج الثاني... آه... ماذا أقول؟ كنت أتصور أنه عن حب، فقد تم بعد قصة حب، ولا أروع... من نوع الحب هذا، الذي يفاجئك ببوكيهات الورود، والهدايا، وكل دقيقة "ماسيدج"... آه... ماذا يسمى؟ آه... حب النظرة الأولى، وما يصاحبه من سخونة، وحمى، وأخطاء... ثم لا شئ... لاشئ على الإطلاق...

حتى الذكريات آنف أن أذكرها، وحمدا لله -أيضا- على عدم وجود أطفال
أحيانا أعتقد أني محظوظة، فأنا أرى معاناة زميلاتي مع أطفال بدون أباء...
بعد الطلاق... لا يسأل الأب -حتى- عمن أنجب... بعض الآباء على الأرجح
أطفال غير أشقاء... آه... دعوني أستعمل مصطلح أمي -من كل دار نار- الدار: هي الزيجة، والنار: كناية عن الأولاد
أمي تقول إن طبيعة عملنا تجعل أنماطا بعينها هى من تتلهف علينا... أغلبها يكون غير سوي...
أما الزوج الثالث، فهو الرجل الوحيد الذي أخذني بلا حب، و حتى دون أن أكون موهومة أنني أحب... وماذا أيضا؟ دون وعد بالزواج... وماذا أيضا؟ كنت أنا التي تتولى الأمور المادية في علاقتي به
إذن كيف تزوجنا؟ وكيف حدث، وأن كنت "مبسوطة" بهذا الزواج؟
الأمان... الأمان... تلك الكلمة التي عشت طوال عمري إما أبحث عنها، أو أهرب من انعدامها... طوال عمري أبحث عن الأمان... عن الإحساس به... عما يكفله من طمأنينة، وثقة، وراحة بال، وأنس، وونس، وناس لا يمكن للمرئ أن يطمئن وحيدا
دائما أشعر أن ما أنا فيه لن يدوم... أشعر بالرعب كلما تقدم بي السن... أو إذا مرضت
أو إذا حدث، وتقلص رصيدي في المصرف... كل هذا يصيبني بذعر... ذعر غريب!! لا يخلصني منه سوى بهجة الخيال.
أما الزوج الرابع
آه .. من ينزع من نفسي آثار أنواء طوبة و يغلق الشبابيك .

.....

لن أنسى تلك اللحظة أبدا... اللحظة التى أدركت فيها أنها تركتني...
كنت عائدا إلى البيت مع الفجر -كعادتي- ولم أجدها، ولم أجد الأولاد، ولم أفهم في حينها... لم أستوعب الذي حدث... لم تترك رسالة .. أين ذهبت تلك المأفونه حديثة العهد " بالشرمطة " ؟؟؟ لا افهمها / منذ فترة و أنا لا أفهمها و لا افهم تحولها . اتعتقد أني مغفل مثلا أو يمكن إستغفالي !!! هيهات يا بنت الصيرفي .
كنت عائدا بمشاعر غارق فيها منذ فترة... حب يملك عليّ قلبي، وحياتي... أصغر مني بثمانية عشر عاما... يبدو أني أمر بأزمة منتصف العمر، وإلا، فما تفسير انسياقي وراء هذا الحب؟ أنا المالك -باستمرار- لنفسي وقلبي... هل أنا كذلك؟
لم أستوعب فداحة ماحدث إلا بعد أن وجدت صعوبة -حتى- في معرفة مكانها.
اتصلت بها مرارا، وتليفونها -باستمرار- مغلق... لا أدري أين ذهبت... لم يستغرق مني الموضوع تفكيرا طويلا حتى قادتني أفكاري إلى ولاء حامد... آه... من غيرها يستطيع أن يعرف؟ حتى أني لا أستبعد وجودهما معا الآن.
آه... ولاء... لماذا تكاسلت في بتر هذه العلاقة من البداية؟ هل لأني لم أشعر بها حين بدأت؟ ولو... كان عليّ ألا أجعلها تستمر... كيف استطاعت ولاء التسلل إلى قلب ليلى بهذا الشكل؟ كيف؟ بعد أن كان ما كان منها نحوي!!!
أتعتقد -في قرارة نفسها- أني كنت لا أشعر بها منذ البداية منذ أن كنا زملاء جنبا بجنب ؟ كلا... بداخل أي منا "رادار" يقرأ أي شعور بالحب يجيء في اتجاهنا، بل ويحدد الاتجاه، والشخص، والحالة... بل والدرجة.
ولكن -ويا للعجب- ليس لدينا -جميعا- نفس الشئ بالنسبة لمشاعر الكراهية، والضغينة، والأحقاد.
ولاء... من غيرها؟ ما تلك البجاحة كيف تصادق زوجتي ؟؟ و تلك المأفونه الأخرى ألم تشعر يوما بما تحمله ولاء بداخلها ؟؟ آن لها أن تشعر ليلى و منذ متى و هي تتمتع بأيها إحساس ؟؟ ولاء... من غيرها ؟؟ هي التي عصّت ليلى علي... من غيرها؟ كيف كان سيتسنى لها أن تحزم أمرها، وتأخذ الأولاد، وتترك بيتي إذا لم تكن ولاء وراء الأمر؟ تعضده... وتباركه... حتى لو أنكرتا، فأنا أعرف ولاء جيدا.
ماذا عليّ أن أفعل الآن؟ علي أن أهادنهما إلى أن تعود ليلى من جديد، وعلى أن أتفرغ في الفترة القادمة... سأتفرغ لوضع كلمة النهاية لعلاقة ليلى و ولاء... لأني -يا ليلى- لا أستوعب حياتي من دونك... ولم أعتد أن يشاركني فيك أحد.

.....

ليلى

في أسوان كانت النجوم تشبه تلك التي كانت في بلادي...
و السماء مطابقة للسماء هناك... لكن الأرض ليست هي الأرض...
و أنا إنسانة أخرى، لم أعتد عليها بعد... أنسانة غيري

.....

إيهاب

كيف استمالتها و أخذتها مني

عرفت المرأة فخذلتني

أمي لم تعطني يوما طاقة نور و أمان فنميت هشا إجتهدت حتى زرعت في نفسي الثقة و القوة

لبنى ظهرت فسقتني الوهم
ظهرت فكسرته

ولاء زوجة انتبهت لها بعد فوات الوقت فلم تكن

ليلى نموذج تم تجريبه مرات من قبل و نجح

ليلى عليك أن تختاري
إما أنا و إما علاقتك بولاء
قالت :- نفسي .. نفسي
و رحلت
لم توصد الباب فظل الأمل معلق يتأرجح بحبال الرجاء
مع تكرار الإخفاق سقط الحبل

كان الأمل من مادة هاشة .. تبعثر
كل ما تبقى منه .. منها

مواضيع كجروح مفتوحه بدأت تقيح وقلق و غبار
و للإسف أبناء

.....

_ ١٠ _

عادت ليلى إلى سوريا .. كانت بعودتها تريد العودة إلى روحها التي هجرتها من زمن و تخلت هي عنها طواعية ، تركتها الروح لتعيش زمنها مع تلك الغريبة التي صارت هي . نظرت إلى روحها في المرآة فلم تستدل عليها فاكتفت بمطالعة ملامحها فقط . لم تجد سوى قطع من البوتوكس و السليكون و مواد كيميائية أخرى لم تعرف كنها .. بكت .. كانت تبكي منذ أيام و ستظل تبكي لشهور أخر و عندما جف نهر الدموع ظهر في القاع تمساح كبير و سلحفاه عجوز تربوا على المائة عام و بعض الضفادع الصغيرة تنقنق في مرح . كان التمساح خجول و مكتئب ، طوال أيام مضت يلحظ تعثره في طمي أحمر لزج و تعثر سباحته الحرة داخل النهر ولم ينتبه ، لإنه لا يملك العقل القادر على ربط الأسباب بالنتائج ظل على حاله حتى داهمه الجفاف هب مسعورا يسحف يتعثر في الطمي حتى وصل إلى الضفه و مشي مطمئن لسخونه الرمل ، مشى لا يلوي على شئ ، كانت السلحفاه ترقبه بوجل كانت تعرف بخبرتها أن عنده الحل ، فما أن لاحظت محاولاته المضنيه للوصول للحافه أدركت أن لا ملجأ و لا منجى إلا بالبحث عن نهر جديد لكن أكثر ما تعذبت منه ليلى كان الضفادع الصغيرة التي ظلت تلهو في مرح تأخذها لذة النهر في حالته الجديدة دأبت تنبش في القاع و في نبشها صارت ليلى تصرخ .. تصرخ و تلطم الخدود و تشق الثياب و تعوي كاذئب جائع . بنات الخال بكين على حالها أخرجت الضفادع في نبشها الدؤب ديدان الأرض غير عابئه بالصراخ و لا التهديد بالموت و ضياع صاحبة النهر أخرجت ملح الأرض و انهارت ليلى لم يجد بنات الخال بد من إدخال ليلى للمشفى و أخذت كل واحدة منهن طفل ، الأكبر كان من نصيب الأخت الكبرى أما البنت شبية أبيها _ التي نالها قسطا كبيرا من تبعات حالة أمها ، ضرب و إهانات لا تعرف لها سببا من المؤكد إنها ستترك أثرها العنيف في علاقتها بأبويها و فكرتها عن نفسها لما تشب عن الطوق _ كانت تلك البنت من نصيب الأخت الأكثر مرحا .

ماتت الضفادع تباعا و هجر الدود تلك الأرض و الملح أستقر تماما في القاع و بدأت ليلى بالتعافي في تحسن بدا للبعض بطيئا . تذكرت كل من رحلوا أبوها الشيخ الطيب الذي ربى لديه تعاقب الأنظمة القاسية جبنا أصيل لا ينتهي كان يخشى خياله لذا عاش حياته محروم متعة الخيال أو الحلم بحياة أخرى ، مات . تذكرت أمها ، تلك الصموت التي لم تتحدث معها أو أخيها إلا بأمر أو نهي أو نصيحة لا تخلو من حكمة و طرافة . ماتت بعد أن حققت الحلم العظيم العودة إلى حلب كأن حياتها مع أبي لم تكن هي الأصل و عودتها إلى مرتع صباها هو حقيقة حياتها و ماتت هناك أبت أن تموت بعيدا .

_ الخال صالح كم أحتاجك الأن

الوحيد الذي بكته كأن تذكره أعاد الحياة لنهر دموعها المنتهي الخال صالح ليتك كنت معي ما كنت وصلت إلى تلك الحال رائحة منك على الأرض هي من تحميني و ترعى صغاري الأن .

آتى الأخ من السعودية في إجازة قصيرة حصل عليها بالاحتيال و المبالغة حتى وافق الكفيل جاء بعرضه الأبدي العودة معه إلى السعودية ، شكرت حضوره ورفضت بما تبقى لها من إرادة . عند رؤيته لها جدد أحزانها بتعليقاته الفجه التي لا تخلو من فظاظة على شفاها المنفوخه و خدودها لكن خجل أصيل منعه من التحدث عن ثدييها النافرين . ليته لم يأتي ...

بدأت تتعافى و حان وقت خروجها من المشفى ... البيت القديم في حلب هو المأوى الوحيد الأن . كان كاعجوز قديم مثل الأرض أهمله أحبائه و زويه فتحول إلى سكنى للخراب . و بدل من النقمة على ما آل إليه حاله استغلته كامعالج روحاني ، الانشغال بإعادة إعماره و تأهيله .. و هل هناك أروع من الانشغال للنسيان !!

تأملت جدرانه و مسدت عليها بحنان كأنها تعتذر . ذلك البيت أصيل هو منها و هي منه و

كلاهما يشبه الآخر كلاهما يحتاج الأخر ليعود به للحياة و ينفض عنه نظرة الناس الامباليه أو المشمئزة . هذا البيت هو الحقيقي في حياتها هو من صمد كل حياتها قبله أو بعده سنين طوال تراها الأن عدم .
عرضت عليها إبنه الخال الصغرى بيعه و الانتقال للعاصمة دمشق حيث سيكونا بالقرب منها لكنها أبت .. ضحكت في داخلها لإنها لم تفقد وسط كل ما فقدت من ليلاها القديمة العناد .

حاول كثيرا إستبقائها كان مهتما بالحفاظ على شكل الأسرة حتى لو كذبا . بعد أن سافرت جلس مع روحه يسترجع ما كان و حار !! مع أي ليلى كان يتحدث ؟؟ ليلى التي تزوجها لا تمت بصلة إلى ليلى التي كان يكلمها منذ قليل لا تتشابهان إلا في الاسم و عناد البغال .. مُسخت روحها تفسخت صارت كائن غير محدد الهوية تشبه زواني سقراط مومس لم تمارس البغاء . فلتذهب للجحيم إلى متى ستظل تحمله ذنب تفسخها كل ما يقلقه هو أبناءه كيف يشبون مع أم مختله كل الأخبار التي تأتي من هناك تؤكد أن عقلها أصيب بعطب . عزى إيهاب ذلك للسلكونها الأبدي الذي زحف على خلايا المخ فعطلها .. كررها عدة مرات فلتذهب للجحيم . هجر شقته .. كان كلما دخلها تعثر في لعبه كانت لطفه يوما ، سمع أصوات ضحكاتهما تتردد كصدى باهت في المكان .. دمعه تنزل من عينيه تؤلم روحه .. باع الأثاث كل قطعه كانت تصدر أنين و تسأل عن من غابوا .. لم يتحمل كل الأصوات و الأنات و الأسئلة فتخلص منه باع الشقه ايضا .. إنكب على العمل بكليته حتى إذا ما انتهى أصطحب إحداهن لينام معها بلا زكرى أو رائحة فقط لينهد حيله و ينام . تنقل فترة بين فنادق العاصمة ، ثم إنتقل إلى شقة بعيدة تختلف عن سابقتها . لكنه أبدا لم ترتاح روحه . هجرها و تنقل كثيرا لا تثبت له عتبة دار ذكره هذا الانتقال المتكرر بأيام مضت بعيده هي الأن في شبابه الأول هناك في دمشق حين كان ينتقل من مكان إلى مكان وراء الماء و الكلاء و العمل كابدوي أصيل .. يهجر عمل أو يهجره العمل فيذهب باحثا عن غيره . هذه الذكرى دعمته .. وقفت كاعواميد من الصلب تنهض همته .. تذكره أن ما مر به في عمره الأول جعله كالطود العظيم لا تهده ريح .
الناظر إلى إيهاب و من مثله من بعيد يرى النعمه بين عينيه يقف وسط لجه زرقاء و أشجار السرو تتحلق حول المكان لكن كلما اقترب من ينظر إلى حياته إكتشف صحرائها .. من إقترب عرف عطش السراب الذي يحيا وسطه إيهاب ، يحسبه الظمأن ماء .
ما كان ليحمل نفسه أبدا تبعات ما آلت إليه ليلى .. لن يجرؤ على الاعتراف حتى لنفسه أنه دأب على ذبحها بسكين بارد فاستغرق النحر سنوات و سنوات حتى إن أمهر الأطباء لن يستطع علاجه دون أن تحمل طعنات إبرته أثرا ستترك خطا متعرجا بإنحناءات كاندب غائر على وجه جميل .
إبنه الذي لم يشبهه قط ورث ملامح أمه قبل أن تعبث فيها عند أطباء التجميل . ورث روحها الميالة للورع و عنادها ، ألقى همومه و جروحه و روحه في مصحف إنكب عليه يدرسه و يحفظ تلاوته و صلاة حرص عليها ففي طهارتها كلام مع الله يمسد جروح النفس و يمسح عليها ببلسم يرى النور في آخر الطريق .
حمل آباه ما يحدث للعائلة .. حالة امه .. نزق أخته تصرفاتها الشاذة المشينه الخارجه عن أي سياق .. تعثره الدراسي .. صلافة البقال .. نظرات تاجر الزيوت .. دين قديم ظل يتراكم كدمل لا ينفقأه .. كان يعامل آباه بإحسان كما يأمره دينه لكنه متبوع بأذى ، أذى نظرة عينيه ..

نمت الكراهيه كاكرة شحم سوداء كبيرة لزجة لا تخطئها العين .. فكان إحسانه من النوع البلاستيك .. لا روح و لا إحساس .. رفض مال أبيه و حرمه على نفسه .. لا يحب أن ينسب إليه و لو الأمر بيده لغير اسمه و تاريخه و عائلته كلها و لن يبقى في هذا المسح في صفحة حياة إلا على أمه و خاله ..

قسى قلبه فهو كالحجارة أو أشد قسوة .. نمى على شاكلة أقرب نموذج للرجل أمامه ، خاله .. يمرغ جبهته على سجادة بلاستيك حتى ينحت على جبهته بقع للتقوى .. عاد من السعودية و تفرغ لتجارة مع الله يربح منها كثيرا و فضل أن تكون تلك التجارة في حلب السبب المعلن أن يؤدي واجبه نحو رحمه اخته العزباء و ابنائها أما السبب الخفى إحساسه بالغبن لأن بيت حلب هذا ميراث عن أمه و يجب تقسيمه على حسب الشرع ..
تعلق الإبن بمظاهر الدين مثل خاله جعله متباهيا في خيلاء لا تناسب الورع .. إحساسه بإلزام روحه بما يعجز عنه الأخرون جعل الجميع عنده بمن فيهم أمه و أولهم أباه في مستوى أدنى منه فدأب على توزيع نظرات الازدراء على الجميع كل حسب حجمه .. لحداثة سنه كان لا يفهم لؤم خاله الذي يحمل كراهيه دفينه لكل من هم أغنى منه أو مشهورون أو منعمون بمظاهر الترف التي حرم نفسه منها ليس عن زهد لكن عن بخل ، فكان يتعمد اللعب على وتر العلاقة بين الإبن و أبيه لا يترك فرصه إلا و ضغط هذا الدمل بيدين قذرتين فزاده قيح .. يتعمد تقديم الإبن للمشايخ أصدقائه بأن هذا فلان إبن إيهاب رمضان الفنان و يبتسم باصفرار فما كان من الشيوخ بعد أن يحوقلون و يستعيذون ألا أن يربتون بعطف مستحق لهذا الشاب التقي و بعضهم يزيل كلامه بحكمة :-
_ يخلق من ظهر الفاسد عالم ..

إبنته التي تشبهه شبت تحمل جميع نواقصه كانت متمردة في غير إتزان و عنيدة ايضا مرت بمراهقة عصيبة خلفت لها أخطاء ستظل لسنوات قادمة تتلقى جرائرها . دخلت على غير هدى في عدة علاقات برجال يكبرونها بأعوام كثيرة كانت تبحث عنه فيهم قالت في لحظات صفائها إنها فعلت ما فعلت إنتقاما منه و ليس عشقا للقضيب . لم يكن باقي منه ينبض في داخلها إلا خيال لرجل أربيعيني وسيم تفوح منه رائحة الخمر و رائحة نساء ليس من بينهن رائحة أمها .. رائحة سجائر معجونه في عطور ذكرية فجة .. يد تداعبها و تحتضنها فتلمس بالدلال روحها .. تقبيل و دلال و إستجابة لأوامرها و نزواتها الطفوليه بلا نقاش و تدليل بلهجة شامية كانت لا تسمعها في تلك الأيام البعيدة إلا منه فأمها غيرت ضمن ما غيرت لهجتها ..

ذات مساء بارد حين هفت تلك الروائح و داعبت أنفها إلتفتت فوجدته رجل أربعيني وسيم إمتلئت أنفها برائحته كشعاع بث حرارة و جمال في صحراء حياتها الباردة فامتلئت أملا و نور أغمضت عينيها باستسلام لذيذ و مشيت على غير هدي . بعد أول لقاء حميم هرولت كالملسوعه إلى السترة المعلقه على المشجب وراء الباب تشمها و تحتضنها تلثمها كأنها طفل تاه لسنوات و عاد لأحضان أمه يدها رغما عنها ظلت تبحث عن قطع الشيكولاته بالفستق .. تحرك مسرعا و نهرها لما أمتدت يدها تبحث في السترة ضرب يدها كأنه يؤنب طفلة و سحب السترة بعنف .. رهبة اللحظة منعتها حتى البكاء .. الاعتراض ، و حين بدأت بلملمت ما تبقى منها و بدأت على مهل في إرتداء ملابسها أقترب منها في حنان زائف و قبل رأسها لم يكن لها حينها أن تخبره بذكرى الروائح و لا من أين كانت تأتيها الشيكولاته بالفستق .. رجال تبرزت قلوبهم المعصية فقتلت رائحة البراز ضمائرهن على مهل و بتلذذ .. تركت يدها تنام في يدية كأغصان ضعيفه فوق خف الجمل و قالت بصوت ناعم لم تغادره الطفولة بعد :-

_ أعرف إنك لن تؤذيني أليس كذلك ؟؟؟

لكنه آذاها فعلا و رحل حاملا سترته و روائحه و دفء الأمل لكن و قبل أن يختفي أطفأ النور عادت للبرد كالطريد يلهث في مارثون دائري كاكره شفافه ، مارثون لن ينتهي قريبا .. رحل .. و ماذا يعني .. هل من جديد .. أيكون أعز ممن تركوها قبله ... ألم يؤذها أباها

برحيله قبلا ؟؟ ألم تتأذى من ضرب أخيها المبرح يوميا ؟؟ تترك آثار الضرب عليها و لا تخفيها تمشي باعتزاز لا يستدر شفقة كحامل الأوسمة و النياشين .
صارت كالمثقفة المتحزلقة تهذي :-

_ تلك ضريبة حريتي و ها أنا أدفعها

بعد مرور الليلة الثالثة على التوالي أضطرت ليلى السؤال عنها بخجل مشوب بالحذر بنات الخال صالح .. أخوها حلف أن لو رأها سيقتها . لم يخطرعلى قلب إيهما سؤال إيهاب الذي لم يخطر على قلبه أبدا انه سيفتح يوما بابه فيجد إبنته بعد أن صارت شابه جميلة و قد جفت دموعا على وجنتيها و آثار دماء جافه مرت على جبهتها و جفت و آثار تورم و ضرب لا تخطئها العين .